ما هو مضمون كتابي الالكتروني الجديد: "الأمثال في ميدان الحياة؟

كتاب الأمثال هي تعليمات بعبارات قصيرة، لخبرات طويلة في كيفية العيش المؤثّر في المجتمع. إن ما يميّز سفر الأمثال في الكتاب المقدّس، أنه يزوّدنا بحكم عملية لحياتنا اليومية. تنطق هذه الأمثال، بحقائق كتابية ولاهوتية، سردت بشغف بطريقة أدبية، مع بعض الفكاهة. تقدّم لنا الأمثال، خبرات عميقة عن أناس، إختبروا الحياة قبلنا وتعلّموا منها فكتبوا من خبراتهم نصائح لحياتنا، كيما نتجنّب أكبر قدر ممكن من الخطايا والأخطاء في التفكير والسلوك والحياة، فنعيش حياتنا بأقل أضطرابات ممكنة. وبالتالي، فأولئك الذين سبقونا ودوّنوا اختباراتهم، يدعوننا للاصغاء اليهم، والتعلّم منهم عبر الأمثال التي تركوها لنا.

يبدأ سفر الأمثال، بالتحدث عن أهمية الحكمة في الحياة، فيقول "لتعطي الجهّال ذكاء والشاب معرفة وتدبّرا. يسمعها الحكيم فيزداد علما والفهيم يكتسب تدبيرا" (أمثال ١: ٤-٥). يذكر سليمان الحكيم، الأهداف من هذه الحكم الواردة في كتاب الأمثال بقوله، "قبول تأديب المعرفة والعدل والحق والاستقامة" (أمثال١: ٣). وبالتالي، من خلال هذين المثلين: نرى أن غاية سفر الأمثال هي: "الحكمة"، "التدبير"، "قبول التأديب"، "المعرفة"، "العدل"، "الحق"، "الاستقامة". جمعت أمثال وأقوال سفر الأمثال، على فترات بواسطة رجال الملك الصالح حزقيا، حوالي القرن الثامن قبل الميلاد، واستشهد ببعض هذه الأمثال: الرب يسوع المسيح، والرسل.

يُذكر اسم الملك سليمان الحكيم ككاتب سفر الأمثال، ثلاث مرّات، لكن يعتقد مفسّرون أنه كُتب من قبل أكثر من كاتب واحد. يخبرنا سفر الملوك الأول، أنه عندما أصبح سليمان ملكًا، فانه صلّى الى الله طالبا الحكمة، ليعرف كيف يدبّر شؤون بلاده. يذكر النص الكتابي: "في جبعون، تراءى الرب لسليمان في حلم ليلاً. وقال الله "اسأل ماذا أعطيك؟. فقال سليمان: إنك قد فعلت مع عبدك داود أبي، رحمة عظيمة حسبما سار أمامك، بأمانةٍ وبرّ واستقامة قلب معك، فحفظت له هذ الرحمة العظيمة وأعطيته ابنًا يجلس على كرسيّه كهذا اليوم. والآن أيها الرب إلهي، أنت ملّكت عبدك مكان داود أبي، وأنا فتىً صغير لا أعلم الخروج والدخول، وعبدك في وسط شعبك الذين اخترته شعب كثير لا يحصى ولا يعدّ من الكثرة. فأعط عبدك قلبًا فهيا لأحكم على شعبك وأميّز بين الخير والشر، لأنه من يقدر أن يحكم على شعبك العظيم هذا. فحسن الكلام في عيني الرب لأن سليمان سأل هذا الأمر. فقال له الله: من أجل أنك سألت هذا الأمر، ولم تسأل لنفسك أيامًا كثيرة، ولا سألت لنفسك غنى، ولا سألت أنفس أعدائك، بل سألت تمييزًا لتفهم الحكم. هوذا قد فعلت حسب كلامك. هوذا أعطيك قلبًا حكيمًا ومميزًا، حتى أنه لم يكن مثلك قبلك، ولا يقوم بعدك نظيرك" (ملوك الأول٣: ٥-١٢).

تقدّم لنا أمثال الملك سليمان، معلومات وتعليمات، حول كيفية تشكيل هذا العالم، ليعمل بطريقة جيدة. انها تقدّم لنا الوسائل الفضلى التي تسير فيها الأمور في هذه الحياة، من خلال امدادنا بالتفكير السليم والنصائح العملية، لنقتضي بها في حياتنا اليومية. انها تعلّمنا أن الامر الجيّد هو الأمر الصحيح. نرى فيها، ما يخاطبنا في كل ظروف الحياة المتقلّبة، وفي العديد من المواقف التي تواجهنا. نرى أنفسنا على كل صفحة من صفحات الأمثال، كآباء، وأمهات، وأولاد، وأصدقاء. ترينا الأمثال، كيف أن توجّهات قلوبنا تحدّد هويتنا. نتلاقى من خلال مضمون الأمثال، مع نوعيات الناس الموجودة في مجتمعنا اليوم: من حكماء وجهلاء، كسالى ومجتهدين، مجرّبين والذين يجرّبوهم، محتضنين طرق الرب ومحتقرونها. لا تعكس هذه الامثال فقط الحكمة الانسانية، وانما أيضا الحكمة الالهية، الموحى بها من الروح القدس.

يقول سليمان الحكيم، "بدء الحكمة مخافة الرب، ومعرفة القدوس فهم". تعلّمنا الأمثال، أن الحكمة ليست فقط حول ماذا نفعل، ولكن من هو الله بالنسبة الينا، وماذا فعل لأجلنا. وبالتالي، الأمثال هي دروس تحسّن

نوعية حياتنا، وتزوّدنا بمهارة العيش بحسب الانجيل، وترينا كيف نعكس مجد الله في تفاصيل تصرفاتنا وعلاقاتنا مع الله والآخرين.

يتضمّن كتابي هذا، "أمثال الملك سليمان للحياة"، خمسة وعشرين مثلا، من سفر الأمثال، اخترتها من واقع الحياة اليومية، متأملا في انعكاساتها الروحية والاجتماعية والمالية والنفسية.

القس سهيل سعود

الفهرس

١-"تمسّك بالأدب لا ترخه، فهو حياتك"(أمثال٤: ١٣)

٢-"مكرهة الرب: عيون متعالية"(أمثال٦: ١٦)

٣- "من يغمز بالعين، يسبّب حزنًا" (أمثال١٠: ١٠)

٤-"حصن للاستقامة طريق الرب" (أمثال١٠: ٢٩)

٥-"حيث لا تدبير يسقط الشعب" (أمثال١١: ١٤)

٦-"محتكر الحنطة يلعنه الشعب، والبركة على رأس البائع"(أمثال ١١: ٢٦)

٧-"من يكدّر بيته يرث الريح. والغبي خادم لحكيم القلب"(أمثال١١: ٢٩)

٨-"الرجاء المماطل يمرض القلب. والشهوة المتمّمة شجرة حياة" (أمثال١٢:١٣)

٩-"يوجد من يتغانى ولا شيء عنده، ومن يتفاقر وعنده غنى جزيل" (أمثال١٣: ٧)

١٠-"غنى البطل يقلّ، والجامع بيده يزداد"(أمثال١٣: ١١)

١١-"بطيء الغضب كثير الفهم، وقصير الروح يعلّي الحمق"(أمثال١٤: ٢٩)

١٢-"روح الانسان تحتمل مرضه. أما الروح المكسورة فمن يحملها"؟(أمثال١٨: ١٤)

١٣-"الموت والحياة في يد اللسان، وأحباؤه يأكلون ثمره" (أمثال ١٨: ٢١)

١٤-"كل طرق الإنسان مستقيمة في عينيه، والرب وازن القلوب"(أمثال٢١: ٢)

١٥-"جمع الكنوز بلسان كاذب، هو بخار مطرود لطالبي الموت" (أمثال٢١: ٦)

١٦-"إذا جلست تأكل مع متسلّط،...لا تشته أطاييبه لأنها خبز أكاذيب" (أمثال٢٣: ١و٣)

١٧-"إن ارتخيت في يوم الضيق، ضاقت قوتك"(أمثال٢٤: ١٠)

١٨-"كثيرون يطلبون وجه المتسلّط، وأما حق الإنسان فهو من الرب"(أمثال٢٦: ٢٦)

١٩-"النفس الشبعانة تدوس العسل، وللنفس الجائعة كلّ مرّة حلو" (أمثال٢٧: ٧)

٢٠-"ذو العين الشريرة بعجلٍ الى الغنى، ولا يعلم أن الفقر يأتيه" (أمثال٢٨: ٢٢).

٢١-"الملك بالعدل يثبّت الأرض، وقابل الهدايا يدمّرها" (أمثال ٢٩: ٤)

٢٢-"الرجل الذي يطري صاحبه، يبسط شبكة لرجليه" (أمثال٢٩: ٥)

٢٣-"بلا رؤيا يجمح الشعب" (أمثال٢٩: ١٨)

٢٤-"لا تعطني فقرًا ولا غنى" (أمثال:٣٠ ٨)

٢٥-"تضحك على الزمن الآتي" (أمثال٣١: ٢٥)

١-"تمسّك بالأدب لا ترخه، فهو حياتك"

(أمثال٤: ١٣)

من الحِكَم الروحية العميقة التي نصح بها سليمان الحكيم قرّاءه، قوله "تمسّك بالأدب لا ترخه، فهو حياتك" (أمثال٤: ١٣). المقصود بكلمة "الأدب" في هذا القول، باللغة العبرية الأصلية، هو "التعليم والتأديب". انه كل تعليم وتأديب تلقّاه الانسان المسيحي من كل من علّمه الايمان، وأدّبه حين انحرف عن مساره ليعيده الى المسار المسيحي الصحيح، وهم: أولا، الأهل المؤمنين، الذين يربّون أولادهم على محبة المسيح مستندين الى كلمة الله. وثانيا، التعليم الكتابي الصحيح الذي تعلّمه الكنيسة لأولادها، كيا ينمون في الايمان والرجاء والمحبة. يرجع الرسول بولس الفضل، في طهارة ايمان ونقاء حياة تلميذه تيموثاوس، الى "الأدب" أو التعليم والتأديب، الذي تلقّاه في بيته من أمّه وجدّته. يقول له، "اذ أتذكّر الايمان العديم الرياء، الذي فيك الذي سكن أولا في جدّتك لوئيس وأمك أفنيكي، ولكني موقن أنه فيك أيضا" (٢ تيوثاوس ١: ٥).

عندما يعرّف الرسول بولس، بالدور الذي تلعبه كلمة الله أي الكتاب المقدس في حياتنا، يذكر أنها نافعة: "للتعليم، والتوبيخ، والتقويم، والتأديب الذي في البِرّ. يقول، "كل الكتاب هو مُوحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذي في البِرّ، لكي يكون انسان الله كاملاً، متأهبًا لكل عمل صالح" (٢تيموثاوس٣: ٦-٧). ان الغاية من الأدب الذي أوصى به سليمان الحكيم، هو نفس الغاية التي ذكرها الرسول بولس عندما عرّف عن الكتاب المقدس، فالأدب أو التعليم والتأديب في البرّ، لا يصحّح فقط علاقتنا مع الله، ويعمّق شركتنا الروحية معه لنختبر حضوره الفاعل في الحياة، انما أيضا يصّحح سلوكنا في المجتمع، ويحسّن تصرفاتنا، لنكون متأهبين لكل عمل صالح. يذكر سليمان الحكيم، ثلاثة أمور هامة في وصيته، "تمسّك بالأدب لا ترخه، فهو حياتك" (أمثال٤: ١٣). الأول، أن"الأدب" أو التعليم والتأديب، يمنحنا الحياة. الثاني، أن يكون لنا مع "الأدب" صداقة دائمة الى الأبد. الثالث، ان يكون "الأدب" أو "التعليم والتأديب"، الكنز الذي يجب أن نتمسّك به كل أيام الحياة.

عندما قدّم البشير يوحنا، الرب يسوع المسيح في قصة التجسّد، فانه ذكر قائلا، "فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس" (يوحنا ١: ٤). فالحياة هي في المسيح. نجد الحياة، بمعناها الحقيقي في اختبارنا للمسيح كمخلّص شخصي لحياتنا. يخبرنا البشير يوحنا في الاصحاح السادس من انجيله، أنه عندما وجد بعض الذين أرادوا اتّباع المسيح، أن كلامه صعب، فانه قال لهم: "الكلام الذي أكلّمكم به، هو روح وحياة" (يوحنا ٦: ٦٣). لم يتحدّث سليمان الحكيم، عن الحياة كمفهوم عام، لكنه تحدّث عن الموضوع بشكل شخصي ومباشر. قال: "الأدب هو حياتك أنت". لهذه الحياة بعدين: بعد زمني وبعد أبدي. عندما كتب الرسول بولس لتلميذه تيموثاوس عن التقوى، ذكر البعدين معا، اذ قال: "لكن التقوى نافعة لكل شيء، اذ لها موعد: الحياة الحاضرة، والحياة العتيدة"(١ تيوثاوس ٤: ٨).

يجب ألاّ يكون التعليم والتأديب، فقط في مرحلة واحدة من حياتنا، أي عندما لا نزال تحت جناحيّ أهلنا في البيت، ننعم بدفئهم وتربيتهم الصالحة لنا، لكن يجب أن نكون في صداقة أمينة مع الأدب كل أيام الحياة. فيصبح الأدب، الحارس الذي يراقب ايماننا وتصرّفاتنا، كيما يصحّحها كلما تخطىء. أوصى موسى كاتب سفر التثنية الشعب، بمحبة الله من كل القلب والنفس والقوة . قال: "لتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم على قلبك. وقصّها على أولادك، وتكلّم بها حين تجلس في بيتك، وحين تمشي في الطريق، وحين تنام،

وحين تقوم. واربطها علامة على يدك، ولتكن عصائب بين عينيك. اكتبها على قوائم أبواب بيتك، وعلى أبوابك" (تثنية٦: ٥-٩). طلب موسى من شعب الله القديم، أن لا تفارقهم هذه الوصية ولا يوم، لكي لا ينسونها، عندما يقومون بأي شيء كان. شبّه الواعظ العظيم، تشارلز سيرجون، الأدب ببوصلة الحياة التي تقودنا في الطريق الصحيح نحو الله. يذكّر كاتب الرسالة الى العبرانيين، أعضاء الكنيسة الذين انحرف بعضهم عن،الايمان والسلوك الصحيح، أنهم نسوا التعليم والتأديب الذي تلقّوه من أهلهم في البيوت كأولاد لله. قال لهم: "قد نسيتم الوعظ الذي يخاطبكم كبنين. يا ابني لا تحتقر تأديب الرب ولا تخر إذا وبّخك، لأن الذي يحبّه الرب يؤدبه، ويجلد كل ابن يقبله. إن كنتم تحتملون التأديب، يعاملكم الله كالبنين. فأي ابن لا يؤدّبه أبوه؟ ولكن إن كنتم بلا تأديب، قد صار الجميع شركاء فيه. فأنتم نغولٌ لا بنون. ثم قد كان لنا آباء أجسادنا مؤدّبين وكنا نهابهم. أفلا نخضع بالأولى جدًا، لأبي الأرواح فنحيا؛ لأن أولئك أدّبونا أيامًا قليلة حسب استحسانهم. وأما هذا فلأجل المنفعة، لكي نشترك في قداسته" (عبرانيين١٢: ٥-٩). كما أن سليمان الحكيم، وضع بوصلة الأدب والحكمة والاستقامة، لتوجّه الناس في مسيرة ايمانهم. قال، "أريتك طريق الحكمة. هديتك سبل الاستقامة. إذا سرت فلا تضيق خطواتك. وإذا سعيت فلا تعثر" (أمثال٤: ١١-١٣). ان وصية الحكيم لنا، هي الجديّة في عيش حياتنا المسيحية بحكمة واستقامة وتدقيق.

من المميَّز في وصية سليمان الحكيم، "تمسّك بالأدب لا ترخه، فهو حياتك" (أمثال٤: ١٣)، دعوته الانسان الحكيم الى التمسّك بالأدب "بتصميم وبشوق كبير"، وعدم التخلّي عنه. يقول لكل منا: "لا ترخه"، أي لا تجعله ينزلق منّك لئلاّ تفقده. انه يدعونا للتّمسك بالتعليم والتأديب بكل ما أعطينا من قوة. نحن دائمًا ما نميل الى سماع الأمور بشكل جزئي، أو أن نسمع شيئًا دون أن يكون لنا التصميم لنتبعه ونطيعه ونجعله جزءًا من حياتنا ومسارنا. لكن لم يكن هذا ما قصده الحكيم، بل يقول لنا، "لا ترخي الأدب". في كثير من الأحيان، تجعلنا صعوبات الحياة وظروفها القاسية، ننسى أمورًا أساسية. ننسى ما تعلّمناه من الأهل والكنيسة، أي ننسى تربيتنا وقيمنا المسيحية. ان هموم الحياة، قد تضغط علينا، وتحاول أن تخنقنا، كما خنق الشوك البذار التي سقطت وسطه، لهذا تأتي وصية سليمان الحكيم لكي تذكّرنا، كيما نثبت معتمدين على نعمة الله وقوة الروح القدس، على الأدب، والتعليم والتأديب الذي تعلّمناه، من أهلنا وكنيستنا وكل المؤمنين والمؤمنات الذين واللواتي وضعهم الرب في دربنا، كيما يشجّعونا ويقوونا، حتى نثبت في مسيرة ايماننا، مهما تغيّرت ظروفنا وكثرت آلامنا.

٢-" مكرهة الرب: عيون متعالية"

(أمثال٦: ١٦)

من الميزات الموجودة في سفر الأمثال، إستخدامه لغة العيون للتعبير عن بعض صفات ومواقف وممارسات الإنسان. من هذه الإستخدامات، قول سليمان الحكيم: "لا تكن حكيمًا في عينيّ نفسك، اتّق الرب وابعد عن الشر" (أمثال ٣: ٧)، أو "جيل طاهرٌ في عيني نفسه، وهو لم يغتسل من قذره" (أمثال٣٠: ١٢). هذه الأقوال وشبيهاتها، حول تعبير، "عينيّ نفسه"، تشير الى الإنسان الذي يُنصِّب نفسه حكما على نفسه وعلى الاخرين، معتبرا أن حكمه صحيح وأخلاقه سامية، دون الأخذ بعين الاعتبار طبيعته الإنسانية الفاسدة، التي هي غير قادرة على التقييم الصحيح. أيضا، يذكر مثل آخر من سفر الأمثال، القول، "مَنْ يغمز بالعين، يسبّب حزنًا" (أمثال١٠: ١٠). فالغمز بالعين، هي إشارة مكر ومؤامرة، يشير فيها الغامز بالعين، الى صاحبه، للتواطىء معه للقيام باعمال شرّ. أو أن هذا التعبير، قد يشير الى اتفاق انسان ما مع صاحبه لاحتقار آخرين. كما استخدم الحكيم، تعبير "العيون المتعالية"، الذي هو موضوع تأملاتنا . قال كاتب سفر الأمثال: "هذه الستة يبغضها الرب. وسبعة هي مكرهة نفسه: عيون متعالية، لسان كاذب، أيد سافكة دمًا بريئًا. قلب ينشىء أفكارًا رديئة. أرجل سريعة الجريان الى السوء. شاهد زور يتفوّه بالأكاذيب، وزارع خصومات بين الإخوة" (أمثال٦: ١٦-١٩).

يضع سليمان الحكيم، قول، "العيون المتعالية"، في أوّل سلّم، أو لائحة الصفات الرديئة، التي يكرهها الربّ. مع أن استخدام كلمة "كراهية" عن الرب، ليس بالأمر المتداول كثيرًا في الكتاب المقدس، كون أن الله يحب الانسان الخاطىء، لكن يكره الخطيئة فيه. الاّ أن استخدام تعبير "كره الله للعيون المتعالية"، يعطنا فكرة واضحة عن مدى امتعاض الله من هذه الصفة في بعض الناس. فماذا يعني الحكيم بتعبير، "العيون المتعالية"؟

الإنسان الذي لديه عيون متعالية، هو الذي لديه ثقة كبيرة وزائدة في نفسه، اذ يعتقد بأنه أعلى وأسمى وأهم من كل الآخرين. انه الشخص الذي يضع نفسه في مركز الكون، ويرى كل الكون يدور حول شخصه، بل حتى يرى نفسه أعلى من الله الذي لا يعلو فوقه أحد. فالإنسان ذوي العيون المتعالية، هو الذي يرفض أن يدع الله، أن يكون الله ليقتنص لنفسه مكانة الله. إنه الذي يعتقد نه وحده الصالح والكامل الذي لا يخطىء. وحده الفاهم كل شيء، فلا يقبل النقد أو الانتقاد من قبل الآخرين، بل يثور ويغضب على كل من يحاول تصحيحه، لأنه يظن أن التصحيح لأخطائه يقلّل من شأنه ويجرح كبرياءه، فينسى نصيحة الحكيم، "ليمدحك الغريب، لا فمك. الأجنبي لا شفتاك" (أمثال٢٧: ٢). الانسان المتعالي العيون، هو الذي من جهة يضع نفسه فوق الناس، ويهين كراماتهم ويزدري بهم، ومن جهة أخرى، يسعى لأجل كسب مدح واطراءات الناس ومجاملاتهم. إن مشكلة أولئك المتعاليّ العيون، أنه ليس لديهم تقييما مجرّدا وحقيقيا لنفوسهم، ونوعية علاقتهم مع الله ومع الآخرين.

يقول سليمان الحكيم، أن صفة العيون المتعالية، أو صفة التكبّر والغرور، هي مكرهة الرب" (أمثال ٦: ١٦). الكبرياء هو ذلك الجزء البشع من الانسان، الذي يجعله يهتّم بنفسه وسمعته، أكثر من اهتمامه بالآخرين. أيضا يقول كاتب الأمثال، "طموح العينين، وانتفاخ القلب، نور الإشرار خطية" (أمثال٢١: ٤). وبهذا القول، يربط سليمان الحكيم، بين طموح العينين، التي هي تعبير آخر للعيون المتعالية، مع انتفاخ القلب أو كبرياء القلب، ليقول بأن هذا الموقف للعيون والقلب، هو خطيّئة.

يخبرنا النبي حزقيال، عن ملاك أو "كروب"، سقط بسبب كبريائه. مما جاء في النص، "أنت الكروب المنبسط المظلّل، وأقمتك على جبل الله المقدس، من يوم خلقت، حتى وجد فيك اثم. بكثرة تجارتك ملأوا جوفك ظلما، فأخطأت. فأطرحك من جبل الله، وأبيدك أيها الكروب المظلل بين حجارة النار. قد ارتفع قلبك لبهجتك. أفسدت حكمتك لأجل بهائك. سأطرحك الى الأرض، وأجعلك أمام الملوك لينظروا اليك" (حزقيال٢٨: ١٤-١٧). يربط مفسرون الاشارة الى سقوط الكروب، بقصة السقوط الأولى. وبالدور الذي لعبته الحية في اغواء آدم وحوّاء، بنفس خطية الكبرياء، بالطلب إليهم عدم الاقتناع بالمعرفة والسلطة التي منحها إيّاهم الله عندما خلقهم. حثّ هذا الكروب الساقط، آدم وحواء على عدم الخضوع لسلطة الله، بل أن يسعوا لامتلاك نفس المعرفة والسلطة، التي يملكها الله ليصيروا نظيره. نسى أو تناسى آدم وحواء، أن الله هو خالقهم، وهم خليقته. خالفوا وصية الله لهم، بعدم الأكل من شجرة معرفة الخير والشر. وهكذا، سقطوا في الخطية وطردهما الله من الجنّة. وهكذا، كان الكبرياء الخطية الأولى التي سجّلت في تاريخ البشرية الساقطة. يقول الكاتب والفيلسوف المسيحي كلايف لويس: "إن الرذيلة الأساسية هي الكبرياء. فبسبب الكبرياء أصبح الشيطان، شيطانًا. فالكبرياء هو مصدر كل رذيلة لأنه يقود الى كل رذيلة أخرى. فالكبرياء هو حالة الفكر المعادي لفكر الله". صلّى النبي اشعياء والمرنم الى الله، طالبين منه أن يخفض عيون الناس المتعالية، المتكبّرة. قال النبي إشعياء، "توضع عينا تشامخ الإنسان، وتخفض رفعة الناس، ويسمو الرب وحده في ذلك اليوم" (إشعياء٢: ١١). وقال المرنم، "لأنك أنت تخلّص الشعب البائس. والأعين المرتفعة تضعها" (مزمور١٨: ٢٧).

ان خطية العيون المتعالية، أو الكبرياء، تقود الى انفصال الإنسان عن الله، وانفصاله عن الناس المتواضعين الآخرين. لهذا، دعا الرسول يعقوب أعضاء الكنيسة في الماضي، ويدعونا اليوم الى عيش فضيلة التواضع في حياتنا، حتى يرى الناس فينا صورة يسوع المسيح. قال، " تسرّبلوا بالتواضع. لأن الله يقاوم المستكبرين. وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة" (يعقوب٤: ٦).

"الرجل اللئيم: يسعى باعوجاج الفم. يغمز بعينيه. يقول برجله. يشير بأصابعه"

(أمثال٦: ١٢-١٣)

توصل العيون رسائل متنوّعة ومشاعر متعدّدة، منها: المريح والمفرح، ومنها المزعج والمقلق. فإنه غالبًا ما يعبّر عنه بصوت مسموع، يعبّر عنه أيضا بلغة العيون. تنقل العيون معلومات هامة عن حالة الشخص النفسية. إعتقد العبرانيون القدماء أن العيون تكشف سمة عميقة في شخصية الانسان. تشير دراسات الى أنه عندما يكون الإنسان مضطربًا، فإن حركات عيونه تزداد. كما ترى هذه الظاهرة عند الذين يكذبون. فالعيون، كما قال سليمان الحكيم، هي نوافذ الجسد "وتظلم النواظر في الشبابيك" (جامعة١٢: ٣). وبالتالي، يمكن إيصال الكثير من الرسائل عبر العيون، دون الحاجة الى الكلام.

قال سليمان الحكيم، "من يغمز بالعين، يسبّب حزنًا" (أمثال١٠: ١٠). يختلف تفسير، معنى اشارة "الغمز بالعين"، تبعًا: للتوقيت، والمناسبة، والمكان، والظرف، الذين تقام فيه هذه الاشارة. يختلف معنى حركة "الغمز بالعين"، بين حضارة وأخرى. فما قد يعتبر رسالة رومنطقية بين شاب وامرأة، يغمزان بعينيهما لبعضهما البعض، في حضارة ما، قد يعتبر إساءة كبيرة في حضارة أخرى. مثلا، الغمز بالعين في الحضارة الأفريقية، يعتبر إساءة كبيرة وازدراء واحتقار، كما ترفض هذه الحركة كليا في آسيا. أما في أميركا اللاتينية، فالغمز بالعين، هو اشارة لعلاقة رومنطقية، بل دعوة لعلاقة جنسية بين شاب وفتاة. وبالتالي، عندما تكون اشارة الغمز بالعين: في الوقت، والمكان، والظرف المناسب، فانها يمكن أن تفسّر على أنها تشير الى تودّد وصداقة وتواصل ايجابي. لكن، العكس هو الصحيح، في الأوقات غير المناسبة.

ان معظم ما يورده الكتاب المقدس، عن حركة الغمز بالعين، هي اشارات سلبية، ترمز الى: الخبث، والمكر، والمرآة. أورد سليمان الحكيم، مثل "من يغمز بالعين، يسبّب حزنًا" (أمثال١٠: ١٠)، كيما يحذّر الناس المسالمين، من أولئك الذين يغمزون بعيونهم، بل يتغامزون عليهم، قاصدين بهم شرّا. نرى النوايا الشريرة للغامز بالعين، في قول المرنّم، "لا يشمت بي الذين هم أعدائي باطلاً، ولا يتغامز بالعين الذين يبغضونني بلا سبب لأنهم لا يتكلّمون بالسلام، وعلى الهادئين في الأرض يفكّرون بكلام مكر" (مزمور٣٥: ١٩-٢٠). يشير المرنم في استخدامه لتعبير " يتغامز بالعين"، الى شماتة وتعيير أعداؤه له، وتفكيرهم به بمكر. انه يشير الى نوايا مبيّتة لافتعال اضطراب ما، يسبّب له حزنا. فهناك من يتواطىء عليه، ويريد ايذاؤه. يستخدم الحكيم أيضا أمثالاً أخرى تشير الى المكنونات الشريرة للغمز بالعين. فيقول "الرجل اللئيم: يسعى باعوجاج الفم، يغمز بعينيه، يقول برجله، يشير بأصابعه. في قلبه أكاذيب. يخترع الشر في كل حين. يزرع خصومات" (أمثال٦: ١٢-١٥). فهناك تعابير جسدية: تعابير في الوجه، اشارات بالأصابع والأرجل، هذا بالاضافة الى نوايا في القلب: اختلاق أكاذيب، اختلاق شرّ، والهدف الأول، زرع الخصومات. أيضا نرى نفس النوايا الشريرة الخفية، في قول آخر للملك سليمان، "من يغمض عينيه ليفكّر في الأكاذيب، ومن يعضّ شفتيه قد أكمل شرًا" (أمثال١٦: ٣٠). فإغماض العينين لاختلاق أكاذيب، والعضّ على الشفتين،هو للاشارة الى القيام بأمر شرير ما. عندما اتّهم أليفاز التيماني، الصديق المفترض للنبي أيوب، بأن أيوب لا بد أنه فعل أمرًا مسيئًا الى الله، لهذا، قاصصه الله، بإنزال عليه المصائب والويلات ، رفض أيوب هذا الاتهام، قائلا له: "لماذا يأخذك قلبك، ولماذا تختلج (تغمز كثيرا) عيناك"؟ (أيوب١٥: ١٢). فاختلاج أو غمز عيون أليفاز، قد فهمه النبي أيوب، على أنه تفكير سيّء بحقّه. يشبّه العديد من المفسّرين، الغامز بالعين، بالكلب الصامت، وإنما المنتظر الفرصة المناسبة للإنقضاض على انسان ما وعضّه. يقال، "يجب عدم الخوف من الكلب الذي ينّبح لأنه نادرًا ما يعضّ، لكن الكلب الصامت الذي لا ينبح، يعضّ بوحشيّة".

ان الحكمة التي يريد أن يوصلها لنا الملك سليمان، من خلال القول، "من يغمز بالعين، يسبّب حزنًا"، هي أنه في كثير من الأوقات، قد تكون التعابير الجسدية أبلغ من الكلام. فالشخص الذي لا يتكلّم معك بشكل مباشر، لا يمكنك الوثوق به، لأن الصادقين لا يسلكون بهذه الطريقة المكرة وغير المستقيمة.

القس سهيل سعود

٤-"حصن للاستقامة طريق الرب"

(أمثال١٠: ٢٩)

يلازم سليمان الحكيم، بين: اتّقاء الرب، وصفة الاستقامة في الحياة، فيقول "حصن للاستقامة طريق الرب، والهلاك لفاعلي الاثم" (أمثال١٠: ٢٩). انه يريد أن يقول لنا، أن السير في طريق الرب، هو الذي يحمي ويضمن الاستقامة في الحياة، لأن الرب هو الذي يوجّه أولاده بروحه القدوس. نرى هذا التلازم بين الايمان والاستقامة ،في أقوال أخرى له، منها: "السالك باستقامته يتّقي الرب، والمعوّج طرقه يحتقره" (أمثال ١٤:٢). أي أن الانسان غير مستقيم القلب والحياة، لا يكرم الرب بل يحتقره. وأيضا في قوله، "من يسلك بالاستقامة، يسلك بالأمان. ومن يعوّج طرقه، يُعَرَّف" (أمثال١٠: ٩).

تعني كلمة "استقامة"، عدم الانكسار بسهولة. فاستقامة الانسان، تشكّل حصنا قويا له ضد الفساد والشر الموجود في العالم. أما الذي يعوّج طريقه ويدّعي الاستقامة، فإنه مهما حاول خداع الناس، فإنه في النهاية سوف يعرف على حقيقته، إن لم يكن في هذه الحياة، في الحياة الأبدية العتيدة، لأن خطاياه تتبعه، كما قال الرسول بولس، "خطايا بعض الناس واضحة تتقدّم الى القضاء، وأما البعض فتتبعهم" (١تيموثاوس٥: ٢٤). ليس للانسان المستقيم، شيئا يخاف منه، لأنه يسير على أرض ثابتة، وليس على رمال متحركة. قال أحدهم، "الإستقامة، هي السياسة الأفضل للحياة". يشدّد الملك سليمان، على الاستقامة في حياة الانسان المتّقي الله في العديد من أمثاله. مثلا يقول، " استقامة المستقيمين تهديهم" (أمثال ١١: ٣). "منهج المستقيمين الحيدان عن الشر. حافظ نفسه حافظ طريقه" (أمثال ١٦: ١٧). "أما فم المستقيمين، فينجّيهم.... وبحسب فطنته يُحَمد الانسان. أما الملتوي القلب، فيكون للهوان" (أمثال١٢: ٦و٨). فهذه الأمثال وغيرها، تريد أن تقول لنا، أن الذي يسلك باستقامة، يسلك بناء لمبادىء صلبة، فانها تمنحه أمانا في مسيرته وعلاقته مع الله والناس، وبالتالي، لن تخزيه استقامته لأن شرفه مضمون، وكرامته محفوظة، ومصداقيته مؤكّدة. يقول النبي إشعياء: "السالك بالحق والمتكلّم بالاستقامة، الراذل مكسب المظالم، النافض يديه من قبض الرشوة، الذي يسدّ أذنيه عن سمع الدماء، ويغمض عينيه عن النظر الى الشر، هو في الأعالي يسكن. حصون الصخور ملجأه. يُعطى خبزه ومياهه مأمونة" (إشعياء٣٣: ١٥-١٦). ان الانسان الأمين والمستقيم، بحسب تعريف النبي اشعياء، هو الذي: ينطق بالحق مهما تعرّض للضغوطات، يرفض أن يكسب المال بالظلم، لا يأخذ رشوة ولا يرشي أحدا، لا يسرع الى سفك دماء الناس، ولا ينظر الى الشر. فهذا الانسان يرفعه الرب الى مكانة سامية يقول النبي اشعياء. فالله يسكنه في الأعالي، يحصنّ حياته بحصون الصخور، ويزوّده بخبزه ومياهه.

ربما لن توصلك استقامتك، الى المراكز والمناصب، لأن الفاسدين لا يريدون مستقيمين معهم لأنهم يفضحون فسادهم، الاّ أن الربح القليل الذي تجنيه من الاستقامة، هو ربح كثير الحلاوة، اذ تختبر بركات الله ورضاه. الاستقامة أكثر ثباتًا من الكذب والخداع. السلوك المعوّج يقود الانسان الى الاضطرابات، الى الذل، مهما علا وتدرّج في مناصبه. فلن يمنحك سلوكك المعوّج الأمان مهما حاولت تخبئة حقيقتك. ان حياة

التقوى والايمان الحقيقي هي وحدها تبقي الانسان واثقًا من الله وتحفظه من السقوط. الانسان المتّقي الرب الذي يسلك على رجاء، متمسكًا بمواعيد الله التي تمنحه الأمان، فانه يثبت في الرجاء الى النهاية.

٥-"حيث لا تدبير يسقط الشعب. وأما الخلاص فبكثرة المشيرين "

(أمثال١١: ١٤)

وجّه الملك سليمان أمثال حكمه، لكل مستويات الناس، للعامة والقادة والملوك الذين يحكمون الأوطان. أحد الحِكَم الهامّة التي تنطبق على حالتنا المبكية في لبنان، بعد الانفجار الهيروشيمي الذي ضرب بيروت، قوله،"حيث لا تدبير يسقط الشعب. وأما الخلاص فبكثرة المشيرين" (أمثال١١: ١٤). هذا القول ينطبق على حكامنا، المسؤولين عن سقوط او اسقاط الشعب في وضع مأساوي كبير، بسبب قلّة تدبيرهم.

تعني كلمة "تدبير"، "الحكمة في إدارة الأمور المؤتمن عليها الانسان"، إن كان على الصعيد الفردي "إدارة الحياة"، أو على صعيد الوطن "إدارة الوطن". التدبير، لا سيما على صعيد الأوطان يحتاج الى المشورة، لهذا فان الجزء الثاني، من قول سليمان الحكيم، يكمّل الجزء الأول، ليقول أنه عندما لا يكون هناك تدبير، يجب على القيّمين ان يطلبوا استشارة أكبر عدد ممكن من الاستشاريين والمشيرين لكي لا يرتكبوا أخطاء مميتة. من الأمور التي آلمت وأغضبت اللبنانيين، أن القيميين على وطننا الجريح، لبنان، كانوا يعلمون بوجود هذه المواد المتفجّرة، "نيترات الأمونيوم" منذ سنين. وبالرغم من أن جهات أمنية لبنانية، كانت قد أخبرت القادة المسؤولين عن وجودها قي المرفا، فاننا سمعنا تصاريح من قادة يدبّرون الوطن، يقولون "لم نكن نعلم أن هذه المواد هي بهذه الخطورة الشديدة"، مبرّرين عدم تصرّفهم واتخاذهم اجراءات ما لتجنّب الكارثة الكبيرة، التي سبّبت بسقوط أكثر من مئتي ضحية وخمسة آلاف جريح ودمار كثير في المنازل والممتلكات، كارثة لم يعرف لبنان مثيلا لها منذ تكوينه.

عندما توّج سليمان ملكا على مملكة داود بعد موت أبيه، تراءى له الله ، وقال له :اسأل ماذا أعطيك؟ (أيام الأول ١: ٧). فأجاب سليمان، "أعطني الآن حكمة ومعرفة لأخرج أمام هذا الشعب وأدخل، لأنه من يقدر أن يحكم على شعبك هذا العظيم . فقال الله لسليمان من أجل أن هذا كان في قلبك ولم تسأل غنى ولا أموالا ولا كرامة، ولا أنفس مبغضيك، ولا سألت أياما كثيرة، انما سألت لنفسك حكمة ومعرفة، تحكم بهما على شعبي الذي ملّكتك عليه، قد أعطيتك حكمة...(أيام الأولى ١: ١٠-١٢). ان حكمة تدبير البلاد هي الحاجة القصوى لمسؤولينا الذين يسوسون البلاد. يذكر الملك سليمان، أنه اذا ما أراد قادة البلاد شنّ حرب، وادارتها وتدبيرها، عليهم ان يقوموا بالكثير من الاستشارات ليربحوها، لأنهم ان لم يفعلوا ذلك سيخسرونها. ذكر قائلاً: "لأنك بالتدابير تعمل حربك، والخلاص بكثرة المشيرين" (أمثال٢٤: ٦). نحن لا نقول بأن على القادة أن يعرفوا بكل شيء، لكن ان كان هناك شيء ما، بهذه الخطورة مثل المواد المتفجرة لا يعرفون مدى خطورتها، فلماذا لم يستشيروا العارفين فيه. فالمشورة ضرورية جدًا لادارة الحياة وادارة الأوطان. يقول الملك سليمان: "مقاصد بغير مشورة تبطل، وبكثرة المشيرين تقوم" (أمثال ٢٠: ١٨). تعني كلمة "مقاصد" أهداف تريد تحقيقها. فاذا ما كان هدف قادتنا بناء وطن، ينعم مواطنوه بالطمأنينة والسلام، عليهم أن يفتشوا عن مشيرين

حكماء. ليس عيبًا ولا ذلاً، أن نستشير آخرين في أمور لا نعرفها، لكن للأسف، فإن كبرياء البعض وادّعائهم بالمعرفة، وعدم تواضعهم ، يمنعهم من الاستشارة. وهكذا يسبّبون بسقوط الشعب.

يخبرنا البشير لوقا كاتب سفر أعمال الرسل، أنه في بداية الكنيسة، حدث إشكال على صعيد التعليم في الكنيسة، اذ أن بعض المسيحيين الذين أتوا الى الايمان من خلفية يهودية، صاروا يعلّمون تعليما خاطئا، بادّعائهم أنه على المسيحي أن يتهوّد أولاً، أي أن يختن ويحفظ بعض شرائع موسى، كشرط لقبوله في جماعة الايمان. عندما شعر قادة الكنيسة الأولى بخطر هذا التعليم، اجتمعوا وتشاوروا في الأمر. يذكر أعمال الرسل، "فاجتمع الرسل والمشايخ لينظروا في هذا الأمر" (أعمال الرسل١٥: ٦). وبعد مناقشة الموضوع، كان قرارهم بالاجماع، الطلب من جميع المؤمنين والمؤمنات، "أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام والزنى والمخنوق والدم" (أمثال٥: ٢٠). ان خبرة الرسل، تعلّمنا أنه علينا طلب المشورة من الحكماء، والخبراء والاختصاصيين الذين لديهم المعرفة في أمور محدّدة، وليس من أناس دون خبرة واختصاص. ان أخطاء القادة والمسؤولين هي مميتة ومكلفة جدًا، وقد رأينا كلفتها الباهظة علينا في وطننا الجريح لبنان.

يخبرنا سفر الملوك الأول، أنه بعد موت الملك سليمان، تسلّم ابنه الملك رحبعام، الحكم، لكن الابن لم يتعلّم من حكمة أبيه، ولم يكن حكيمًا كوالده، ولم يطلب الحكمة من الله لادارة البلاد. أتى إليه بعض قادة الشعب، في بداية حكمه، وقالوا له: "إن أباك قسَّى نيرنا، وأما أنت فخفِّف الآن من عبودية أبيك القاسية ومن نيره الثقيل الذي جعله علينا، فنخدمك" (١ملوك١٢: ٤). فأجاب "أعطوني ثلاثة أيام فأرد عليكم جوابا". ثم ذهب الى بعض الشيوخ الحكماء واستشارهم، فقالوا له: "ان صرت اليوم عبدا لهذا الشعب وخدمتهم وأحببتهم وكلّمتهم كلاما حسنا، يكونون لك عبيدا كل الأيام" (١ ملوك ١٢: ٧). الاّ أن الملك رحبعام، لم يأخذ بمشورتهم الحكيمة، بل ذهب ليأخذ مشورة بعض الأحداث الذين لا حكمة ولا دراية ولا خبرة لهم. فقدّموا له استشارة غبيّة فيها تحدّي للشعب وتعامل بفوقية وقسوة مع الشعب. قالوا له: "قل لقادة الشعب، إن خنصري أغلظ من متني أبي"، أي إن كان أبي قد قسى عليكم قليلاً، فأنا سوف أقسو أكثر بكثير. وهكذا، ذهب الى قادة الشعب وقال لهم: "أبي حمّلكم نيرًا ثقيلاً ،وأنا أزيدُ على نيركم. أبي أدّبكم بالسياط، وأنا أؤدّبكم بالعقارب" (١ملوك١٢: ١١) وهكذا، بسبب غياب حكمته، وسوء إدارته للبلاد، سقط الشعب وانقسمت مملكة داود الى قسمين، هما: مملكة إسرائيل ومملكة يهوذا. لهذا لنتذكّر، نصيحة الملك الحكيم، "حيث لا تدبير يسقط الشعب. وأما الخلاص فبكثرة المشيرين"(أمثال١١: ١٤). فلنطلب دائما الحكمة من الله، والمشورة من مشيرين عندما نرى حاجة لذلك.

محتكر الحنطة يلعنه الشعب، والبركة على رأس البائع"٦-)أمثال١١: ٢٦(

من الأمور التي تحدّث عنها الكتاب المقدس، أخلاقيات العمل في عدة حقول، ومنها أخلاقيات العمل في التجارة. في القديم كانت تحدث مجاعات من وقت لوقت، فتزداد الحاجة الى المواد الغذائية الأساسية، مثل: الحنطة، والأَرُزْ، وباقي الحبوب. الاّ أن ما كان يفعله بعض التجّار، أنهم كانوا يشترون الحنطة من الفلاحين بأسعار بخسة في وقت الوفر، ويخزّنوها في مخازنهم، كيما يحتكروها ويبيعوها بأغلى الأسعار في أوقات المجاعات وشحّ الطعام. وبالتالي، يصعّبون حصول الفقير على قوته اليومي الضروري للاستمرار وعائلته على قيد الحياة . لم يكن في العهد القديم قوانين وشرائع تمنع احتكار التّجار للمواد الضرورية للحياة. لهذا، لجأ سليمان الحكيم الى تسليط الضوء، على اللعنات التي يصبّها الفقراء على المحتكرين، الذين يحرمونهم من قوتهم اليومي، كيما يغتنوا ويتمتّعوا بأموالهم، على حساب الفقراء الذين يموتون من الجوع. كا يحتكم الحكيم الى ضمائر التّجار المؤمنين، كيما يتجنّبوا احتكار الحنطة. يقول سليمان الحكيم "محتكر الحنطة يلعنه الشعب، والبركة على رأس البائع" (أمثال١١: ٢٦

خاطب أيضًا النبي عاموس، مشكلة احتكار واستغلال التجّار، للفقراء والبائسين، في سفره. وخاطب المحتكرين والمستغلين للمساكين بقوله، "اسمعوا هذا أيها المتهمّمون المساكين لكي تبيدوا بائسي الأرض، قائلين: متى يمضي رأس الشهر لنبيع قمحًا، والسبت لنعرض الحنطة؟ لنصغّر الإيفة، ونكبّر الشاقل، ونعوّج موازين الغش. لنشتري الضعفاء بفضة، والبائس بنعلين، ونبيع نفايه القمح" (عاموس٨: ٤-٦). يذكر عاموس أن خطية أولئك التّجار انهم كانوا: يتهمّمون المساكين ليبيدوهم، ويشتروا الضعفاء والبائسين. ما كان يفعله تجّار زمن عاموس أنهم كانوا ينتظرون الفرصة المناسبة: فرصة إنتهاء رأس الشهر، وانتهاء يوم السبت للاحتكار وبيع حنطتهم بأسعار غالية للمساكين، والغش في الأوزان والأكيال، وبيع نفاية القمح للفقراء. تذكر الترجمة الانكليزية، لعبارة، "المتهمّمون المساكين"، أي الذين يدوسون المساكين البائسين تحت أرجلهم، أي الذين يذلّونهم بلقمة عيشهم، باحتكارهم للقمة عيشهم، فيضطرون للاستدانة ليأكلوا الحنطة. وعندما تكثر ديونهم، ولا يعودوا قادرين على دفعها لهم، فانهم يبيعون انفسهم عبيدا لهم، بابخس الأسعار، بسعر نعليّ حذاء. يقول سليمان "هكذا طرق كل مولع بكسب، يأخذ نفس مقتنيه"(أمثال١: ١٩). في تعليقه على قول سليمان الحكيم، يقول المفسّر الدكتور ضوض، "يظهر الاحتكار في كل الاوقات التي تندر فيها المواد الضرورية للإنسان. فيحتكر ذوو القلوب القاسية حنطة الناس. لهذا، يلعنهم العشب، ويقع عليهم غضب الله والناس. فعدالة الله سوف تُظهر نفسها على الذين يضيفون بؤسًا آخر على بؤس الناس باحتكار طعامهم. لهذا يجب ألا يأخذوا بعين الاعتبار، فقط غناهم، بل عدالة الله الذي سوف يجازي كل انسان، على ما فعل، خيرًا كان أم شرًا."

نفس المشكلة تتكرّر في وطننا الجريح لبنان اليوم. انها مشكلة بل خطية الاحتكار البغيضة، احتكار بعض التجّار للمواد والحاجات الضرورية لاستمرار العيش بكرامة. فالتجّار المحتكرون، وبالرغم من وجود ما

يسمّى "مصلحة حماية المستهلك"، إلاّ أنهم لا يقيمون لها أي اعتبار، بل يحتكرون الأدوية والطعام والمحروقات وغيرها من أساسيات الحياة لهذا، يلعنهم الفقراء. المحتكرون يسعون الى الربح والمتاجرة بحياة الفقراء ولقمة عيشهم. لهذا عليهم أن يتعلّموا آداب وأخلاقيات العمل، لكي يتاجروا ويبيعوا بضاعتهم، بأسعار مقبولة كيما ينالوا بركة الله والناس عليهم. فهناك بركة تأتي من الله للذين يتحسّسون آلام الناس واوجاعهم، فيسرّوا منهم ويطلبون الخير لهم ولعائلاتهم .

وهذا هو موضوع الجزء الثاني من حكمة سليمان،"محتكر الحنطة يلعنه الشعب، والبركة على رأس البائع" (أمثال١١: ٢٦). في الجزء الأول، يسلّط سليمان الضوء على لعنة الشعب على المحتكر. وفي الجزء الثاني، يمتدح سليمان، البائع غير المحتكر، الذي لا يستغل وجع الناس وجوعهم وحاجاتهم الضرورية ويسلّط الضوء على بركة الله والشعب على الذين يبيعون الحنطة باسعار مقبولة، فيتمكن الفقراء من شرائها، وتكون البركة على رأسه، ويتمنّون له ولعائلته السعادة .

يذكر النبي أيوب، كيف أنه شعر ببركة الله والناس، عندما أفرح المساكين والمستغيثين والأرامل والأيتام عندما خدمهم، فيقول "لأن الأُذُنْ سمعت فطوّبتني، والعين رأت فشهدت لي، لأني أنقذت المسكين المستغيث واليتيم ولا معين له، بركة الهالك حلّت علي، وجعلت قلب الأرملة يسرّ...كنت عيونا للعمي، وأرجلا للعرج. أب أنا للفقراء" (أيوب٢٩: ١١-١٦

٧-"من يكدّر بيته يرث الريح. والغبي خادم لحكيم القلب"

(أمثال١١: ٢٩)

يتحدّث سليمان الحكيم عن طريقتين تكدّران بيت الإنسان. الأولى، سوء استخدام رب العائلة لامتيازاته. والثانية، إهمال رب العائلة لواجباته العائلية. والطريقتان تؤديان الى خسارة الأب لعائلته، فلا يرث شيئًا سوى الريح. تعني كلمة "يكدّر"، "يسبّب الاضطرابات، يزعج، يكون سبب خلاف مستمر، يجلب الخراب لبيته ويدمّر. هناك الكثير من الأمور التي يقوم بها الآباء، تكدّر العائلة، منها: الطمع والسعي وراء الربح الكثير. هناك بعض الآباء الذين يصرفون معظم وقتهم في العمل، بعيدًا عن عائلاتهم، للإغتناء وجمع المال، فيهملون عائلاتهم ويخسرون امتياز أن يكونوا قريبين منهم، يرون اولادهم ينمون ويكبرون. فالذي يحدث انهم، أن أولاده يكبرون، دون أن يشعروا بأن أبيهم جزءًا منهم. يقول سفر الأمثال "المولع بالربح، يكدّر بيته" (أمثال١٥: ٣٧). أيضا مشكلة الكسل، المعاكسة لمشكلة المولعين بالربح، هي أيضا من الأسباب التي تكدّر البيت. نطق الملك سليمان بمجموعة من الأمثال تحذّر من خطورة الكسل، منها: "بالكسل الكثير يهبط السقف، وبتدلّي اليدين، يكف البيت" (جامعة١٠: ١٨). "الكسل يُلقي في السبات، والنفس المتراخية تجوع" (أمثال١٩: ١٥). " فالكسول يخسر ما عنده من مواسم زراعية. يقول الحكيم "عبرت بحقل الكسلان، وبكرم الرجل الناقص الفهم، فإذا هو قد علاه القريّص، وقد غطّى العوسج وجهه، وجدار حجارته الهدم" (أمثال٢٤: ٣٠-٣١). أيضا مشكلة البخل الشديد حتى على العائلة والأولاد، اذ يحرم بعض أرباب العائلة، عائلاتهم من حاجاتهم الضرورية. من الأقوال الجميلة عن البخلاء: "البخل ان يرى الانسان، ما أنفقه تلفا وما أمسكه شرفا". وأيضا مثل روسي: "غني بخيل أفقر من متسوّل".

في الجزء الثاني من المثل، "والغبي خادم لحكيم القلب" (أمثال١١: ٢٩)، يعتقد المفسرون ان المقصود به هو الانسان الذي بسبب كسله، وغبائه في خياراته غير الحكيمة، وتكدّس الديون عليه، فانه لا يخسر فقط عائلته، بل يخسر نفسه، فيضطر الى بيع نفسه، ليصير عبدا وخادما لحكيم القلب، كما كان يحدث في القديم. حذّر الحكيم من تكدير وتدمير الانسان لنفسه ولحمه بسبب قسوته وسوء تصرفاته، فقال، "الرجل الرحيم يحسن الى نفسه، والقاسي يكدّر لحمه" (أمثال١١: ١٧).

اعتقد المفسرون أن تعبير، "يرث الريح" في المثل، "من يكدّر بيته يرث الريح " (أمثال١١: ٢٩)، هو تعبير حزين جدا. أن يرث الانسان الريح، يعني أن تحبط توقعاته وتوقعات عائلته منه. يشير التعبير الى خسارة الانسان لكل شيء وحتى أولاده، فيجد الانسان نفسه وحيدا مستوحدا، لأن أولاده قد هجروه، بسبب

سوء تصرفاته. عندما تحدّث الحكيم، عن زوال كل شيء، استخدم تعبير، قبض الريح. قال، "فإذا الكل باطل، وقبض الريح" (جامعة١: ١٤). فمن يستطيع أن يقبض على الريح ويمسك به لا أحد، لأنه لن يمسك شيئا. فلا أحد يستطيع أن يرث الريح، لأن الريح لا يورّث. عندما تحدث النبي اشعياء، كيف أن قادة بلاده، لم يحافظوا على وصايا الله وعلى صدقهم وأمانتهم وادارتهم البلاد بالعدل والحق، استخدم تعبير استيلاد الريح. استيلاد الريح، يعني الحصول على لا شيء، أي أنهم لم يتركوا أثرا جيدا لهم، قال " حبلنا، تلويّنا، وكأننا ولدنا ريحًا، لم نصنع خلاصًا في الأرض" (إشعياء٢٦: ١٨). فالانسان الغبي، لن يترك له ذكرى جيدة، ولا أثرًا طيبًا حتى لعائلته. أولاده لا يريدون أن يتذكروا أن لديهم هكذا أبًا، لأنهم يخجلون بتصرفاته. وبالتالي، الذين يكدّرون بيوتهم، لا يرثون سوى العار والهوان، بعكس الحكماء الذين يرثون المجد، كما قال الحكيم، "الحكماء يرثون مجدًا، والحمقى يحملون هوانًا" (أمثال٣: ٣٥).

٨-"الرجاء المماطل يمرض القلب. والشهوة المتمّمة شجرة حياة"

(أمثال١٢:١٣)

يتحدّث الملك سليمان، في مثل "الرجاء المماطل يمرض القلب. والشهوة المتمّمة شجرة حياة"

(أمثال١٢:١٣)، عن التأثير النفسي والجسدي الكبير الذي تسبّبه التوقّعات غير المتمّمة والانتظار الطويل لإنتهاء أمر ما. يسمّي هذه الحالة "الرجاء المماطل" أو المتأخّر. قد تكون الحالة، الانتظار الطويل لانتهاء أزمة ما، مثل أزمة الكورونا التي مضى عليها أكثر من سنة، أو حالات أخرى محبطة. يقول، "الرجاء المماطل، "يُمرض القلب". "القلب" في الفكر العبري، يشمل كل الانسان وليس فقط مركز العاطفة لديه، كما هو بالنسبة لنا اليوم. فكل قوى الانسان تتأثّر وتمرض من جرّاء الرجاء المماطل. انه، يسبّب القلق واليأس والإحباط، وينعكس وتنعكس على صحة الجسد، فتسبّب امراضا، مثل: الضغط والسكري وغير ذلك. تذكر أحدى تفسيرات لهذه الآية، أنه عندما يسحق الرجاء، يسحق القلب. كلما كانت توقعاتنا أعلى، كلما كانت إحباطاتنا أكبر. فعندما لا يتحقق ما نرجوه: نفقد الأمل والحيوية، وننشف روحيًا، ونصير معرّضين بشكل أكبر لهجمات إبليس. لا أحد منا يرغب أن تطول آلامه وعذاباته. نريدها أن تنتهي سريعا كيما نستعيد عافيتنا وراحتنا. يذكر دارسون أنه خلال الحرب العالمية الثانية، فان المأسورين الذين كانوا في معسكرات التعذيب، يعيشون بوضع نفسي ضاغط بانتظار توقّع اخراجهم سريعا، وانتهاء سجنهم، لم يتمكنوا من العيش طويلاً، بل أصيبوا بالمرض وماتوا. اما الذين خلال سجنهم واستطاعوا ان يكونوا ايجابيين، يشغلون تفكيرهم بأفكار ايجابية مثل التفكير بمن يحبوهم وانتظار لقاءهم بعد انتهاء فترة المعسكر، فانهم عاشوا لفترة أطول. يتحدّث خبراء علم النفس، أنه في وقت الصعوبات يجب أن يحاط الانسان المحبط، بأناس إيجابيين يخفّفوا على المتألّم، ويتجنّب الناس السلبيين الذين يزيدون ضغوطات جديدة عليه. يخبرنا الكتاب المقدس، انه عندما كان النبي أيوب يمرّ بحالة نفسية وروحية صعبة جدًا، من جرّاء خسارته لعائلته وصحته، أتى اليه ثلاثة أصدقاء سلبيين، أضافوا على عذاباته، بكلامهم السلبي واتّهموه أنه أخطأ وأساء الى الله، بالرغم من أن الله شهد عن ايمانه قائلا، أنه لا يوجد مثل أيوب رجلا بارا في ايمانه. لم يشعر أيوب بالراحة، إلاّ عندما صمت اصدقاؤه.

يتحدث الجزء الثاني من المثل، عن الراحة التي تتأتّى من تحقّق أمر ما تمّ انتظاره طويلا. يقول سليمان الحكيم "والشهوة المتمّمة، شجرة حياة" (أمثال١٣: ١٢). انه يتحدث عن التأثير النفسي الايجابي على الانسان، عند تحقّق أمرا ما اشتهى تحقّقه، أو صعوبات كان يمرّ بها وصلت الى خاتمتها. شبّه الرجاء المحقق، بشجرة حياة. وكأن حياة جديدة قد ضخّت في نفس وجسد الذي كان محبطا. كم نشعر بالراحة والفرح، عندما تستجاب

صلواتنا بعد صعوبات كبيرة من مرض وغيره مرّرنا به. يكرّر سليمان الحكيم نفس الفكرة في العدد التاسع عشر من نفس الاصحاح، فيقول "الشهوة الحاصلة تلذّ النفس"(أمثال١٣: ١٩). تحقّق ما انتظرناه طويلا يمنحنا شعورنا جيدا. يشعرنا باللذة بالحلاوة والشفاء.

ان تشبيه الملك سليمان الرجاء المحقّق، بشجرة الحياة، يذكّرنا بشجرة الحياة التي كانت في وسط الجنة في بداية الخليقة. يقول سفر التكوين، "وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر جيدة للأكل، وشجرة الحياة في وسط الجنة" (تكوين٢: ٨-٩). استخدم الحكيم نفس الصورة ليصف الحكمة، فقال عنها، "شجرة حياة لممسكيها، والمتمسّك بها مغبوط" (أمثال٣: ١٨). وأيضًا استخدم الصورة نفسها، لوصف ثمار الصدّيق الصالحة، اذ قال "ثمر الصدّيق شجرة حياة، ورابح النفوس حكيم" (أمثال١١: ٣٠). من الممتع أن نقرأ في نهاية الاصحاح الاخير من سفر الرؤيا، الذي هو الأخير من الكتاب المقدس، أنه عندما وصف يوحنا اللاهوتي الرآي، للأرض الجديدة والسماء الجديدة، فانه رأى على جانبي نهر، شجرة حياة تقدّم الشفاء. قال، "وعلى النهر من هنا ومن هناك، شجرة حياة، تضع اثنتي عشرة ثمرة. وتعطي كل شهر ثمرها، وورق الشجرة لشفاء الأمم" (رؤيا٢٢: ٢).

٩-"يوجد من يتغانى ولا شيء عنده، ومن يتفاقر وعنده غنى جزيل"

(أمثال١٣: ٧)

يذكر الملك سليمان الحكيم في هذه الحكمة، صنفين من الناس. صنف الرجل الغني، الذي يتغانى بثروته ولباسه الأرجواني وتعظّم معيشته، كيما يرضي كبريائه ويجذب أنظار الناس إليه. إلاّ أنه في المقياس الإلهي، هو: فقير، معدم، لا يملك شيئا. وصنف الرجل الفقير، في المال والمقتنيات، لكنه غنيّ بحضور الله في حياته. يوجد بعض المفسّرين الذين يدينون الرجلين: الاول، لأنه يدّعي الغنى ليصنع له شعبية. والثاني، لأنه يدّعي الفقر بقصد خداع الناس. وبالتالي، يرون مشكلة في الموقفين. الاّ أن المفسّرين الذين يعتقدون أنه ينبغي أن يكون هناك رسالة روحية من هذه الحكمة، لهذا يرفضون تفسيرهم، ويعتقدون أن هذه الحكمة تنسجم مع ما يعلّمه الكتاب المقدس، بأن الغني الذي يعتمد على أمواله هو فقير، بينما الفقير الذي يعتمد على حضور الله في حياته، هو غني. وبالتالي، هذه الحكمة هي عن "الغني الفقير"، و"الفقير الغني".

تعلّم هذه الحكمة عن الأولويات الصحيحة في الحياة، في ضوء الأبدية. البعض يجعلون: الغنى والمال والسلطة والمراكز، أولويتهم في الحياة، لأنهم يعتقدون أنها تقدّم لهم السعادة، لكنهم مخطئون في نظر الله. هذا بالتحديد ما اعتقده الغني الغبي، الذي تحدّث عنه المسيح في مثل، بعد أن اعلن لتلاميذه قائلا، "أنظروا وتحفّظوا من الطمع؟ عندما أخصبت كورة ذلك الغني، قال لنفسه: أهدم مخازني وأبني اعظم، وأقول لنفسي: يا نفس لك خيرات كثيرة، موضوعة لسنين عديدة .استريحي وكلي واشربي وافرحي. لكن الله قال له: يا غبي هذه الليلة تطلب نفسك منك. فهذه التي اعددتها لمن تكون؟ ثم يقدّم المسيح العبرة من هذا المثل قائلا، هكذا الذي يكنز لنفسه وليس غنيا لله" (لوقا ١٢: ١٦-٢١). إن تصنيف الله للمعتقدين أنهم أغنياء ويتباهون بغناهم، الاّ انهم حقيقة فقراء، نراه في تصنيف سفر الرؤيا، لكنيسة اللاودكيين الفاترة المزمع أن يتقيأها الله، قال الروح لملاك كنيسة لاودكية، "انت تقول إني أنا غني، وقد استغنيت ولا حاجة لي الى شيء. ولست تعلمن أنك أنتك الشقي والبئس وفقير وأعمى وعريان" (رؤيا٣: ١٧). لقد دان الرسول بولس، أولئك الذين يضعون نصب أعينهم في الحياة، السعي وراء الغنى، غير آبهين بحضور الله في حياتم. قال، "وأما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء، فيسقطون في تجربة، وفخّ، وشهوات كثيرة غبية ومضرّة، تغرق الناس في العطب والهلاك" (١تيموثاوس٦: ٩). يقول سليمان الحكيم "كما خرج من بطن أمه عريانًا، يرجع ذاهبًا كما جاء، ولا يأخذ شيئًا من تعبه، فيذهب به في يده" (جامعة٥: ١٥). أعجبني قولٌ قرأته، "إجمع ما شئت، سترحل كما جئت".

لقد كان للنبي موسى، الفرصة الذهبية ليعيش حياة ترف وغنى وجمع أموال كثيرة، عندما كان من ضمن عائلة فرعون، لكنه وجد نفسه فقيرًا من غنى الله، بالرغم من مباهج الحياة التي أحاطت به. لقد فضّل الغنى الروحي بحضور الله، حتى لو اقتضى ذلك أن يذلّ مع شعب الله ويعيش حياة صعبة. قال عنه كاتب الرسالة الى العبرانيين، "مفضّلاً بالأحرى، أن يذلّ مع شعب الله، على أن يكون له تمتّع وقتي بالخطية. حاسبًا

عار المسيح، غنى أعظم من خزائن مصر. لأنه كان ينظر الى المجازاة" (عبرانيين١١: ٢٤-٢٦). لقد صرف موسى ثمانين سنة بالسلوك مع الله. تكلّم معه وجهًا لوجه، واختبر غنى روحي كبير.

الفقير الغني هو الانسان الذي طوّبه المسيح في عظته على الجبل، قائلاً "طوبى للمساكين (الفقراء) في الروح، لأن لهم ملكوت السموات". إن الكلمة المترجمة "مسكين" في ترجمة فانديك – البستاني، هي باللغة اليونانية، "الفقير". الفقير في الروح، هو الذي يقرّ ويعترف أمام الله أنه مُفلس روحيًا. لا شيء لديه يخوّله أن يقترب من الله. لهذا، يطلب من الله أن يغنيه بحضوره الفاعل في حياته. هذا ما قصده الرسول بولس، حين قال "فقراء، ونحن نغني كثيرين. كأن لا شيء لنا، ونحن نملك كل شيء" (٢كورنثوس٦: ١٠). قال أحد القدّيسين "إن إدراكنا لفقرنا الروحي، هو الموقف الوحيد المناسب الذي يجب أن نتّخذه، كيما نمتلىء من روح المسيح ،ولنغتني من غناه.

١٠-"غنى البطل يقلّ، والجامع بيده يزداد"

(أمثال١٣: ١١)

من الأمور التي تحدث عنها الملك سليمان في أمثاله، آداب العمل. في موضوع جمع المال ، دعا الحكيم كل انسان للحصول على المال النزيه بعرق جبينه، وليس بالكذب والغش والفساد. قال ،"جمع الكنوز بلسان كاذب، هو بخار مطرود لطالبي الموت" (أمثال٢١: ٦). قصد بذلك، أن الذي يكنز لنفسه كنوزا من المال ، وبالادلاء بشهادات زور عن أبرياء، أو بطرق غير أخلاقية في التجارة، باستخدام الغش والخداع، وغيرها من الطرق المدانة. فان تلك الكنوز المجموعة لن تدوم طويلا. شبّه عدم ديمومتها، بالدخان أو البخار الذي يظهر قليلا، ثم يموت ويختفي. وفي مثل آخر حول نفس الموضوع. تحدث الملك سليمان، عن طريقتين لجمع المال: الأولى، بالبطل. والثانية، بالعمل المجتهد. يقول، "غنى البطل يقلّ، والجامع بيده يزداد" (أمثال١٣: ١١). البطل أي الفساد اوالطرق غير الشرعية. مال البطل، هو مال: السرقة، والظلم، والخداع، والشر. انه المال الذي يخدم فقط فساد وكبرياء الانسان. يقول الحكيم، الذي يجمع ماله ببطل دون أن يتعب في جمعه، فإنه ينفقه بتهوّر لأهداف غير صالحة. إن طبيعتنا البشرية الخاطئة وجشعنا للاغتناء السريع، يجعلنا نستخدم أساليب بطل فاسدة، لنجمع الكنوز. لكن يقول لنا الحكيم، هذا المال، لن يدوم طويلا، بل سيقلّ بسرعة. هناك مثل يقال باللغة الانكليزية، تفسيره "الذي يأتي بسهولة، يذهب بسهولة". يتساءل النبي ميخا، "أفي بيت الشرير بعد كنوز الشر، وإيفة ناقصة ملعونة"؟ (ميخا٦: ١٠). أما النبي إرميا فقد استخدم مثلا جميلا من حياة طير الحجل. قال،"حجلة تحضن ما لم تبض، محصِّلُ الغنى بغير حق. في نصف أيامه يتركه، وفي آخرته يكون أحمق" (إرميا١٧: ١١). شبّه الذين يجمعون مالهم بالفساد والظلم، بفراخ طيور الحجل التي تعود لتنضم الى طيور جنسها، بعد أن تفقص البيوض وتخرج منها. من المعروف عن طيرالحجل، أنه يسرق البيض من أعشاش طيور من أصناف أخرى، ويحضنها. وعندما يفقّص البيض، وتكبر فراخ الحجل قليلاً لتصبح قادرة على الطيران، فإنها تطير، لتعود تنضّم الى نفس نوع الطيور الذي من جنسها. هكذا أيضًا يحصل للمال، الذي يُجمع ببطل بغير حق. فإن جامعيه لن يتمتعوا به، حتى وإن أورثوه لأولادهم. فانه لن يدوم. فالمال الذي يجمع بالبطل لا يستأذن صاحبه عندما يتركه، لأنه لم يكن في الأصل ماله. لهذا، يقول الحكيم، فان هذا المال، يصنع لنفسه أجنحة كالنسر يطير نحو السماء. قال الحكيم "لا تتعب لكي تصير غنيًا. كفّ عن فطنتك. هل تطير عينيك نحوه وليس هو. إنما يصنع لنفسه أجنحة، كالنسر يطير نحو السماء" (أمثال٢٣: ٤-٥). وأما الذي يجمع ماله بتقوى الله وبعرق جبينه. فبالرغم من أنه سيستغرق جمعه طويلا، الاّ أن هذا الأمر لا يهم. فالله يبارك الذي يعمل بإخلاص وأمانة، وماله سيزداد تدريجيًا بثبات.

السؤال الأساسي، الذي يطرح على جامعي الكنوز والأموال الكثيرة، بالرغم من محدودية راتبهم، وضيق مصادر دخلهم، هو: "من أين لك هذا؟ تعجبني كثيرا، السياسة التي وضعتها الكنيسة الانجيلية المشيخية البرازيلية، لقبولها الهبات والتبرعات. فانها لا تقبل أي مال، ان لم تتأكد أنه مالا نزيها، وراءه أناسا نزيهي الكفّ والسمعة.

يطلب الرسول بولس من تلميذه تيموثاوس، ان يحذّر أعضاء الكنيسة التي يرعاها، من مخاطر الاغتناء السريع، بأية وسيلة ممكنة، فيقول له : "وأما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء، فيسقطون في تجربة وفخ وشهوات كثيرة وغبية ومضرة، تغرق الناس في العطب والهلاك، لأن محبة المال أصل لكل الشرور، الذي إذا ابتغاه قوم، ضلّوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة" (١ تيموثاوس ٦ : ٩-١٠). نعم هذا ما يسبّب لنا محبة المال، واللهث وراء الاغتناء السريع، بأية وسيلة ممكنة. هذه الطريقة غير المسيحية وغير الأخلاقية، توقعنا في: تجارب وأفخاخ، وشهوات مضرة، وتغرقنا في العطب والهلاك، وتسبب لنا أوجاعا وشرورا كثيرة. قال الحكيم "يوجد شر خبيث رأيته تحت الشمس. ثروة مصونة لصاحبها لضرره. فهلكت تلك الثروة بأمر سيء" (جامعة٥: ١٣-١٤).

١١-"بطيء الغضب كثير الفهم، وقصير الروح يعلّي الحمق"
(أمثال١٤: ٢٩)

يتحدّث الملك سليمان الحكيم في عدد من الأمثال عن موضوع الغضب، والفرق الشديد بين حسنات بطيء الغضب، والنتائج الخطرة التي تتأتى من سرعة الغضب، أو كما يسميها "قصر الروح". يقول، "بطيء الغضب كثير الفهم، وقصير الروح يعلّي الحمق" (أمثال١٤: ٢٩). في كتاب بعنوان، "تحكّم بغضبك قبل أن يتحكّم غضبك فيك"، يتحدث الكاتب عن أهمية تحكّم الانسان بغضبه. فهذا يشير الى الحكمة وكثرة الفهم. لكن اذا ما تحكّم غضبك فيك، فانه يعلّي نسبة الحماقة بك، فيجعلك تتفوّه وتتصرّف بالكثير من الحماقات. دعا الملك سليمان الانسان التقي، الى أن يتحكّم بغضبه. رأى في تحكّم الانسان بغضبه، او ما أسماه "تملّك الانسان لروحه"، قدرة وفضيلة كبيرة، تضاهي تملّك الحاكم الجبّار بمدينته. قال، "البطيء الغضب خير من الجبّار، ومالك روحه خير ممن يأخذ مدينة" (أمثال١٦: ٣٢). أما الرسول يعقوب، فقد دعا أعضاء الكنيسة، الى عدم التسرّع في غضبهم، بل الاسراع في استماعهم. فقال "إذا يا إخوتي، ليكن كل انسان مسرعًا في الاستماع، مبطئًا في التكلّم، مبطئًا في الغضب. لأن غضب الانسان لا يصنع برّ الله" (يعقوب١: ١٩-٢٠). في قوله هذا، تحدث الرسول يعقوب، عن النوع الأكثر شيوعا من الغضب، الغضب الذي لا يصنع برّ الله، كما قال، "لأن غضب الانسان، لا يصنع برّ الله" (يعقوب١: ٤٠). لكن هناك أنواعا أخرى من الغضب، التي قد أسمّيها "الغضب المقدس"، مثل غضب المسيح في الهيكل عندما رأى كيف حوّل التجار بيت الصلاة الى سوق للتجارة ومغارة للصوص. وأنواع أخرى من الغضب المقدس، كالغضب من الظلم والسرقة واستغلال الفقراء. هل يمكن أن لا نغضب من معظم حكّام وطننا الجريح لبنان، الذين أساءوا الى أمانة الوطن بفسادهم وإهمالهم. الاّ أن هذا النوع من الغضب، يجب أن يبقى في حدود الآداب والأخلاق المسيحية، ليكون مقدسا. فهذا النوع من الغضب، يجب أن يمنع المسيحي من الوقوع في الخطايا والأخطاء، كما قال الرسول بولس " أغضبوا ولا تخطئوا. لا تغرب الشمس على غيظكم، ولا تعطوا ابليس مكانا" (أفسس٤: ٢٦).

أن نوع الغضب الذي يتحدث عنه الحكيم في أمثاله، هو الغضب الذي لا يصنع برّ الله. الغضب الذي يطمس الفهم ويسبّب الحماقات، وهو موضوع مقالتي. إذا ما أردت أن تتعرّف على حقيقة إنسان ما، شاهده عندما يغضب، وراقب قدرته على التحكّم بغضبه. كما أن الابتسامة معدية، اذ عندما يبتسم أحد لك، ترى نفسك تردّ الابتسامة بالابتسامة، فان الغضب أيضا معد. عندما يغضب أحدهم منك أو عليك، فانك ترى نفسك دون أن تدري أنك قد غضبت أيضا، فبادلت الغضب بغضب مقابل. وهذا ما يسبب الحماقات كما يقول الحكيم، "بطيء الغضب كثير الفهم، وقصير الروح يعلّي الحمق" (أمثال١٤: ٢٩). يقارن الحكيم، ثورة الغضب التي تنتاب الانسان الغاضب، بالفحم للحجر والحطب للنار. يقول "فحم للحجر وحطب للنار، هكذا الرجل المخاصم، لتهييج النزاعات" (أمثال٢٦: ٢١).

من حماقات الغضب الشديد، أنه يؤدي الى الكثير من الخصام. يورد الحكيم في سفره، عددا من الأمثال التي تؤكد على هذه الحقيقة، منها: "سريع الغضب يعمل بالحمق، وذو المكايد يُشنأ" (أمثال١٤: ١٧). "الرجل الغضوب يهيّج الخصومة، وبطيء الغضب يسكّن الخصام" (أمثال١٥: ١٨). "الرجل الغضوب يهيّج

الخصام. والرجل السخوط كثير المعاصي" (أمثال٢٩: ٢٢). "لأن عصر اللبن، يخرج جبنًا. وعصر الأنف، يخرج دمًا. وعصر الغضب، يخرج خصامًا" (أمثال٣٠: ٣٧). من مساوىء الغضب السريع أنه يؤدي الى العديد من الأمور غير المحسوبة، منها: قراءات خاطئة للظروف، أحكام مسبقة على الدوافع. نسيان الانسان لأولوياته. فقدران القدرة على الحكم بالصواب. هذا بالاضاف الى ردات فعل عنيفة، وتصرفات متهوّرة غير مدروسة. كلّما غضبت بشكل أسرع، كلّما تسرّعت في أحكامك وتصرّفاتك، لهذا قال الحكيم،"لا تسرع بروحك الى الغضب، لأن الغضب يستقرّ في حضن الجهّال" (جامعة٧: ٩).

يعرّف سفر الخروج، ببعض سمات الله الذي نؤمن به على أنه بطيء الغضب وكثير الرحمة والاحسان. يذكر النص، أنه عندما كان النبي موسى على الجبل، نزل الرب في السحاب. فوقف عنده هناك ونادى باسم الرب. فاجتاز الرب قدّامه ونادى: الرب، الرب، إله رحيم ورؤوف. بطيء الغضب، وكثير الرحمة والإحسان" (خروج٣٤: ٥-٦). ولأننا نتطلع دائما الى الرب، لنأخذ منه نموذجا لحياتنا في مسيرة ايماننا، دعا الرسول بولس أعضاء كنيسة أفسس، لكي يتحكّموا بل يتخلّصوا من غضبهم إن كان بالامكان، قائلا "لا تحزنوا روح الله القدوس الذي به ختمتم ليوم الفداء. ليرفع من بينكم كل مرارة وسخط وغضب وصياح وتجديف مع كل خبث. وكونوا لطفاء بعضكم نحو بعض، شفوقين متسامحين ،كما سامحكم الله أيضًا في المسيح" (أفسس٤: ٣٠-٣٢).

١٢-"روح الانسان تحتمل مرضه. أما الروح المكسورة فمن يحملها"؟

(أمثال١٨: ١٤)

يتحدّث سليمان الحكيم في هذا المثل،عن كيف أن روح الانسان أو معنوياته المرتفعة تسعفه عندما يصاب بالأمراض والآلام. الاّ أنه عندما تكون روحه منكسرة، أو معنوياته متدنية، فانها لا تستطيع أن تسعفه وتحتمله حتى وان كان سليما وصحته الجسدية جيدة انكسار الروح، هو وصفا كتابيا، للمصابين باليأس والإحباط والكآبة. وما أكثرهم في هذه الأيام بسبب استشراس وباء الكورونا الذي يهاجمنا في بيوتنا وكنائسنا واوطاننا ويخطف كل يوم العديد من محبينا. أطلق المصلح مارتن لوثر على القلق واليأس والاحباط تعبير "أسلحة الموت"، لأنه ان لم يقض الوباء علينا، فان أسلحة الموت تلك تقضي على نفسيات الكثيرين وتكسر أرواحهم. وبالتالي، كما يقول الحكيم: من يستطيع أن يحمل الروح المنكسرة؟ ان روح الانسان هي سيف ذو حدّين. يمكنها: إما أن تحتمل مرضه وآلامه وتجعله سعيدًا حتى وإن كان مريضًا، أو أن تدمّر نفسيته فتنكسر روحه حتى وإن كان سليما. الروح المسكورة، أكثر إيلامًا من الجسد المريض. حالة روح الانسان الجيدة، هي عنصر حيوي لسعادته وراحته. لكن، إذا ما تسلّل اليأس الى روحه، فانها قد تكسره وتدمّره. إن كلمة "مكسورة" التي استخدمها سليمان، لا تصف فقط الألم، لكنها، تصف المرحلة التي نصل فيها الى رؤية كل شيء نعيش لأجله قد فقد معناه. عندما تنكسر النفس، ترتبك المشاعر ويتعطّل التفكير السليم، وتضيع الأولويات. اعطى الحكيم صورة معبّرة لوصف حالة الانسان المكسور من شدة القلق واليأس، فشبّهه بحديقة منهدمة لا سور لها لتحميها، بل تصبح معرّضة لكل الأخطار والتجارب. قال، "حديقة منهدمة، بلا سور، الرجل الذي ليس له سلطان على روحه" (أمثال٢٥: ٢٨).

يقدم سليمان صورة تصف، التأثير المدمّر لانكسار وانسحاق الروح، فيقول : "القلب الفرحان يطيّب الجسم، والروح المنسحقة تجفّف العظام" (أمثال١٧: ١٢). الروح المنسحقة تفقد الانسان حيويته وتجفّف عظامه من شدّة القلق والهمّ. الروح المنسحقة تجعل الانسان: بلا حياة، بلا أمل، في ضياغ وارتباك كامل. لا يعلم ماذا يفعل. يظهر الحكيم الفرق الشاسع بين تأثير الفرح وتأثير الحزن على الانسان، فيقول، "القلب الفرحان يجعل الوجه طليقًا، وبحزن القلب منسحق الروح" (أمثال١٥: ١٣). ان نفسية الانسان الجيدة وايجابيته وفرحه وروحه، تنعكس على كل جسده، اذ تصيّر وجهه مشرقا. أما اذا ما كان بائسا وحزينا، فانها تسحق روحه. أيضا قال الحكيم، "كل أيام الحزين شقيّة. أما طيبُ القلب فوليمة دائمة" (أمثال١٥: ١٥). حزن القلب يجعل كل أيام الانسان. وبطيب القلب وفرحه، يشعر الانسان وكأنه في سعادة ووليمة دائمة.

دعا الملك سليمان الانسان الحكيم الى التحكّم بروحه. قال "مالك روحه، خيرٌ ممن يأخذ مدينة" (أمثال١٦: ٣٢). فتحكم الانسان بروحه والحفاظ على معنويات جيدة هو أفضل من التحكم بمدينة. تظهر اختباراتنا الانسانية، اننا لا نستطيع اعادة تصليح كسورنا المتعددة (التي خلفتها وتخلّفها الأزمات المتلاحقة، وآخرها وباء الكورونا الفتّاك الذي يدب في نفوسنا القلق واليأس والخوف) بقوانا وجهودنا الذاتية. فقط الله يستطيع الوصول الى اعماق كسوراتنا، ويشفي جراحاتنا. طلب النبي داود من الله، أن ينظر الى قلبه المنكسر والمنسحق، كيما يشفيه، صلّى له قائلا، "القلب المنكسر والمنسحق يا الله لا تحتقره" (مزمور٥١: ١٧). يقول المرنّم "أولئك صرخوا والرب سمع. ومن كل شدائدهم أنقذهم. قريب هو الرب من المنكسري القلوب، ويخلّص المنسحقي الروح" (مزمور٣٤: ١٧-١٨).

١٣-"الموت والحياة في يد اللسان، وأحباؤه يأكلون ثمره" (أمثال ١٨: ٢١)

من الأقوال المميزة في سفر الأمثال، قول "الموت والحياة في يد اللسان، وأحباؤه يأكلون ثمره". (أمثال ١٨: ٢١). هذا القول يعبّر عن حقيقة الدور الكبير الذي يلعبه اللسان في الحياة، ان كان في وجهه السلبي أو في وجهه الايجابي. فاللسان اما يميت أو يحيي، اما يهدم أو يبني، اما يسبّب المآسي أو يشفي الجراحات، اما يقسّم أو يوحّد، اما يثير الخلافات أو يمد جسور المصالحة، اما يزعزع الثقة أو يوطّد السلام والاستقرار. وبالتالي، فالأمر كله يتوقف على كيفية استخدام لساننا وانتقاء كلماتنا.

تفيد بعض الاحصاءات أن متوسط عدد الكلمات التي ينطق بها الانسان تبلغ حولي ١٢٠٠ كلمة في الدقيقة، و٧٢٠٠٠ كلمة في الساعة وهكذا دواليك. فاللسان هو الجزء الوحيد من الجسم، بل العضلة الوحيدة

التي لا تعرف التعب والكلل، بينما الاستخدام الكثير لباقي أجزاء أجسامنا، كالرجلين واليدين والعينين وغيرها، يجعلها تتعب. الاّ أنّ هذا الأمر لا ينطبق على اللسان، مما يجعل امكانية اقتراف الأخطاء كثيرة، وفي الوقت نفسه، امكانية البناء وتوطيد الثقة ومد جسور المصالحة أيضا كبيرة .

يصف الرسول يعقوب اللسان، بأنه عضو صغير في جسدنا، الا أنه بالرغم من صغر حجمه، فهو يلعب دورا هاما ويؤثر تأثيرا كبيرا في توجيه وتحديد، كامل مسار حياة الانسان. وكيما يوضّح هذه الفكرة، يشبّه الرسول يعقوب، صغر حجم اللسان بالنسبة لجسد الانسان، بصغر حجم الدفة الصغيرة التي توجه السفينة الكبيرة وهي تمخر البحر. يقول، "هوذا السفن أيضا، وهي عظيمة بهذا المقدار وتسوقها رياح عاصفة، تديرها دفّة صغيرة جدا، الى حيثما شاء قصد المدير. هكذا أيضا اللسان، هو "عضو صغير، يفتخر متعظما" (يعقوب ٣: ٤ و ٥). فهذا الجزء الصغير من الجسم أي اللسان "الذي يدنّس الجسم كله" يقول يعقوب(٣: ٦)، أي يؤثر على كامل مسار حياة الانسان.

في وصف الدور السلبي الذي يمكن أن يؤديه اللسان، والأضرار الكبيرة التي يمكن أن يسبّبها في حياة صاحبه والمجتمع، يقول يعقوب: "اللسان نار، عالم الاثم. هكذا جعل في أعضائنا اللسان الذي يدنس الجسم كله، ويضرم دائرة الكون ويضرم من جهنم ...هو شرّ لا يضبط، مملوء سما مميتا" (يعقوب ٣: ٦ و ٨). من خلال هذه الكلمات، نستطيع استخلاص ثلاثة أوصاف سلبية ومخيفة للسان: ١-عالم الاثم، ٢-نار، ٣-سم مميت، تظهر مدى قدرة اللسان ، على ارتكاب الفظائع والاثم والشر والفساد . الوصف الأول: "اللسان عالم الاثم". فالرسول يعقوب، الذي يؤمن أن سقوط آدم وحواء في الخطية، أورث الطبيعة البشرية حالة الخطية والاثم ، لا يرى اللسان على أنه مجرّد مرتكب لآثام معينة ، بل يراه بحد ذاته عالم الاثم، المسؤول عن تصنيع وتصدير الاثم الى العالم. في هذا السياق، يقول الرب يسوع، " وأما ما يخرج من الفم، فمن القلب يصدر وذاك ينجّس الانسان ، لأن من القلب تخرج أفكار شريرة، قتل، زنى، فسق، سرقة، شهادة زور، تجديف. هذه هي التي تنجّس الانسان."(متى ١٥: ١٨-٢٠). يقول سليمان الحكيم، "والكاذب يأذن للسان فساد" (أمثال ١٧: ٤) ان أكثر تجلّيات الخطية وفساد الطبيعة البشرية، تتجسّد في قدرة اللسان الكبيرة على ارتكاب الاثم والشر .الوصف الثاني: "اللسان نار". ومصدر وقود هذا النار، يقول يعقوب، هو جهنم التي نارها لا تطفأ. والنار تحرق بلهيبها كل شيء تلتقي به . وهذا يشير الى مدى امتداد وسرعة انتشارالأضرار التي يسبّبها اللسان. الوصف الثالث : "اللسان سم مميت". فكما أن السم ينتشر في الجسم، ليقضي على الانسان ويميته بصمت. هكذا اللسان، فانه بصمت، وبدون سلاح قاتل، ينشرالموت في المجتمع. الموت في معناه المجازي والحقيقي، موت في العلاقات ضمن العائلة الواحدة والكنيسة الواحدة والمجتمع الواحد. يخبرنا كاتب سفر الامثال، بأن كلماتنا تكمن لنا فخا، فنعلق ونقع فيه. "ان علقت في كلمات فمك، ان أخذت بكلام فيك" (أمثال ٦: ٢).والشاعر يقول، "لسانك لا تذكر به عورة امرىء، فكلك عورات وللناس ألسن". وكم هذا صحيح. فالكثير من الناس يقرّون، أنهم في لحظات غضب، نطقت ألسنتهم بكلمات مسيئة، أوقعتهم في ورطة كبيرة وسبّبت لهم أزمات كبيرة ومآسي مؤلمة. يقول الحكيم اليوناني بيبليوس، "غالبا ما تأسفت على كلماتي التي نطقت بها، لكن لم أتأسف اطلاقا على صمتي". فكم من عائلات فكّك، وأخوة فرّق، وجرائم سبّب. يشبّه كاتب سفر المزامير، اللسان بالسيف الماضي، الذي يقطع كل شبكات التواصل بين الناس. "ولسانهم سيف ماض" (مزمور ٥٧: ٤). كما يحمّل أحد الأمثال اللسان، مسؤولية انهاء الصداقة بين الأصدقاء، فيقول "لسان طويل يقصّر عمر الصداقة".

لكن كما أن أكثر تجليات الخطيئة وفساد الطبيعة البشرية، تظهر من خلال اللسان المسيء وغير المنضبط ، فان أكثر تجليات التوبة والنعمة والايمان بالمسيح، يجب أن تظهر عند المؤمن من خلال الدور

الايجابي الذي من المفترض أن يلعبه لسانه المنضبط في، الاحياء والبناء والشفاء ومدّ الجسور وتضميد الجراحات وتوطيد السلام والمصالحة في العائلة والكنيسة والمجتمع. يقول الكاتب شارل سويندل : "بدون اللسان لا يستطيع الراعي أن يعزّي القلوب المضطّربة. بدون اللسان لا يستطيع القاضي أن يدافع عن الحقيقة في المحكمة . بدون اللسان لا يستطيع السفير أن يمثّل بلاده بلياقة. بدون اللسان لا يستطيع المعلم أن ينمّي المعرفة في أذهان تلامذته".

في اختبار توبة النبي اشعياء ولقائه الله في الهيكل، يسلّط الكاتب الضوء على أهمية توبة اللسان، التي تنبع من توبة كامل حياة الانسان. يخبرنا النبي اشعياء في الاصحاح السادس من سفره، أنه عندما دخل الهيكل ومثل في محضر قداسة الرب، فانّ الأمر المشين الذي أشار اليه الله في حياته ، كان لسانه المسيء أو شفاهه النجسة . فأمام قداسة الله، صرخ اشعياء قائلا، "ويل لي لأني هلكت، لأني انسان نجس الشفتين، وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين، لأن عينيّ قد رأتا الملك رب الجنود". وعندما اعترف اشعياء بخطاياه وخطايا شفاهه النجسة، ورجع اليه بالتوبة. غفر له الله خطاياه. والعلامة الأساسية التي أظهرت اعادة تأهيله للايمان والخدمة، كانت تطهير شفاهه النجسة بجمرة حارقة من المذبح. "فطار اليّ واحد من السرافيم، وبيده جمرة قد أخذها بملقط من على المذبح، ومسّ بها فمي، وقال: ان هذه قد مسّت شفتيك ، فانتزع اثمك وكفّر عن خطيتك" (اشعياء ٦: ٦و٧). فالانسان المؤمن يجب أن يعكس ايمانه، بكل تفاصيل حياته، ولا سيما ، بلسانه المنضبط. فضبط اللسان يعكس حقيقة مستوى السمو الروحي الذي وصل اليه الانسان المؤمن. قال الرب يسوع المسيح، "من فضلة القلب يتكلم الفم. الانسان الصالح من الكنز الصالح في القلب، يخرج الصالحات. والانسان الشرير من الكنز الشرير، يخرج الشرور... لأنك بكلامك تتبرّر، وبكلامك تدان" (متى ١٢: ٣٤و٣٥ و٣٧).

يورد الملك سليمان، بعض الأمثال عن الدور الايجابي للسان، أذكر منها: نشرالمعرفة: " شفاه الحكماء تذرّ معرفة" (أمثال ١٥: ٧). الهداية: "شفتا الصدّيق تهديان كثيرين" (أمثال ١٠: ٢١). الحياة: "فم الصدّيق ينبوع حياة" (أمثال ١٠: ١١). الشفاء: "أما لسان الحكماء، فشفاء" (أمثال ١٢: ١٨).

في رسالته الى كنيسة أفسس، الاصحاح الرابع، يحدّد الرسول بولس، المقياس الأساسي الذي يجب أن نقيس فيه، صوابية كلمات ألسنتنا، كمؤمنين في المسيح منتمين الى كنيسته. فالمقياس الأساسي هو البنيان، "كل ما كان صالحا للبنيان"(أفسس ٤: ٢٩) . بنيان الايمان. بنيان المحبة. بنيان الصداقة. بنيان السلام. بنيان الثقة. بنيان جسور المصالحة بين كل أعضاء الكنيسة. يقول الرسول بولس لأعضاء كنيسة أفسس، "لا تخرج كلمة ردية من أفواهكم، بل كل ما كان صالحا للبنيان، حسب الحاجة، كي يعطي نعمة للسامعين. ولا تحزنوا روح الله القدوس الذي به ختمتم ليوم الفداء". (أفسس ٤: ٢٩ و٣٠) . فمطلب الرسول بولس من أعضاء الكنيسة، في أفسس وفي كل مكان، هو عدم التفوّه بكلمات رديئة ضد بعضنا البعض، وذلك لسببين رئيسيين. الأول، لأنها تحزن روح الله القدوس. والثاني، لأنها لا تليق بجماعة الايمان. وكلمة "رديئة"، تعني باللغة اليونانية الأصلية، "مصدأة، يملأها الصدأ". كما أنّ هناك معنى آخر ينحدر من الكلمة اليونانية الأصلية، وهو "بلا قيمة". فالكلمات الرديئة الصدئة التي لا تتضمّن أية قيمة بنّاءة ، كتلك التي أشار اليها بولس في الاصحاح الخامس أيضا، "ولا القباحة، ولا كلام السفاهة والهزل، التي لا تليق، بل بالحري الشكر" (أفسس ٥: ٤). لا تليق بجماعة الايمان، ولا تبني كنيسة المسيح، ولا توطّد العلاقة الصحيحة بين أفراد عائلة الكنيسة الواحدة. بل على العكس، تدمّر الكنيسة والعلاقة العائلية فيها، وتحزن روح الله القدوس الذي به ختمنا ليوم الفداء.

١٤-"كل طرق الإنسان مستقيمة في عينيه، والرب وازن القلوب"

(أمثال٢١: ٢)

من الخرافات التي وُجدت في الأديان المصرية القديمة، أنه عندما كان يموت انسان ما، ويأتي زمن الدينونة، كانت تضع الالهة قلبه في كفة ميزان وفي الكفة المقابلة تضع ريشة تمثّل الحقيقة. وكان إله يطرح أسئلة على روح الانسان المائت، بينما تراقب الالهة حركة الميزان. فإذا ما أجاب بشكل صحيح، كانت كفة القلب تنخفض، وكفة ريشة الحقيقة ترتفع. وإذا ما كانت إجاباته خاطئة، كانت كفة القلب ترتفع، وكفة ريشة الحقيقة تنخفض. وهكذا، كان يعاقب الانسان المخطىء، فيُرمى قلبه لإله على شكل تمساح يأكله. أما الذي ينجح في ميزان وامتحان الحقيقة، كانت تدخل روحه الى ملكوت الإله أوزايرس ليحيا الى الأبد.

في الفكر العبري، لم يكن يقصد بالقلب فقط كمركز المشاعر والعواطف، كما نقصد به اليوم. كانت الكلمة الأكثراستخداما لوصف مركز المشاعر هي "الأحشاء". فالقلب في اللاهوت العبري كان يقصد به كل الإنسان: الشخصية، الفكر، الرغبات، المشاعر، والإرادة. وبالتالي، فالقلب لا يشعر فقط، لكنه: يفكّر،

ويريد، ويتّخذ القرار. القلب هو الذي يوجّه تصرفات الانسان. يقول سليمان الملك، "قلب الحكيم، يرشد فمه ويزيد شفتيه علمًا" (أمثال١٦: ٢٣). دعا جماعة الايمان الى أن يحفظوا قلبهم، لأن منه تخرج مخارج الحياة. قال، "فوق كل تحفّظ إحفظ قلبك، لأن منه مخارج الحياة" (أمثال٤: ٢٣). يظن الانسان عندما يقيّم نفسه بنفسه، أن كل طرقه مستقيمة. يقول سليمان الحكيم، "كل طرق الإنسان مستقيمة في عينيه " (أمثال٢١: ٢). وهذه هي مشكلة الانسان الأساسية، انها خطية الكبرياء. لا يدرك الانسان، أن الخطيّة دمرّت قدرته على الحكم وتقييم نفسه. معظم الناس تعتقد أنها على صواب، في كل ما تقوم به، لكن المشكلة أنهم غير موضوعيين في الحكم، بل منحازين الى أنفسهم، بسبب خطية الكبرياء. قال الرسول بولس لأعضاء كنيسة كورنثوس، الذي وجد بينهم بعض المتكبّرين والمعتزّين بصواب رأيهم وحكمتهم، "لا يخدعن أحد نفسه. إن كان أحد يظن أنه حكيم بينكم في هذا الدهر، فليصر جاهلاً لكي يصير حكيمًا. لأن حكمة هذا العالم هي جهالة عند الله. لأنه مكتوب، الآخذ الحكماء بمكرهم" (١كورنثوس١٣: ١٨-١٩). عندما صلّى سليمان الحكيم الى الله، فقد طلب منه أن يعطيه قلبًا مميّزًا. فأجابه الله قائلا، "هوذا قد فعلت حسب كلامك. هوذا أعطيتك قلبًا حكيمًا ومميّزًا، حتى أنه لم يكن مثلك قبلك. ولا يقوم بعدك نظيرك" (أمثال١٦: ٢٣).

تحدّث سليمان الحكيم عن الفرق بين تقييمنا لأنفسنا، وتقييم الله لنا. فقال "كل طرق الإنسان مستقيمة في عينيه، والرب وازن القلوب" (أمثال٢١: ٢). وأيضا استخدم الحكيم مثلا آخر شبيه له، فقال "كل طرق الانسان نقيّة في عيني نفسه. والرب وازن الأرواح" (أمثال١٦: ٦). استخدم الحكيم، صورة ميزان الله الذي يزن القلوب والأرواح، ويقيّم التقييم الصحيح لعلاقة الناس مع الله، ولحياتهم وتصرفاتهم. قال، "قبّان الحق وموازينه للرب" (أمثال١٦: ١١). فهل ترجح كفة الانسان في ميزان الله الذي هو قبّان الحق؟ يجيب المرنّم في المزمور الثاني والستين، قائلا "كذب بنو البشر. في الموازين هم الى فوق" (مزمور٦٢: ٩). ان تقييمنا لأنفسنا شيء، لكن تقييم الله لنا في ميزان الحق هو شيء آخر. يخبرنا النبي دانيال أن ملك الكلدانيين بيلشاصر، ابن الملك نبوخذ نصّر قد تعظّم كثيرًا، فرجحت كفته في ميزان الناس، الذي هو ميزان العظمة والغنى والنفوذ. لكن الرب الوازن الموضوعي للقلوب، وزن قلب بلشاصر، فوجده الى فوق. عندما دُعي النبي دانيال، لتفسير حلم بيلشاصر، قال له: "وأنت يا بيلشاصر ابنه، لم تضع قلبك مع أنك عرف كل هذا. بل تعظمّت على رب السماء... وسبّحت إلهة الفضة والذهب والنحاس والحديد والخشب والحجر، التي لا تبصر ولا تسمع ولا تعرف. أما الله الذي بيده نسمتك، وله كل طرقك فلم تمجّده.... أحصى الله ملكوتك وأنهاه. ثقيل وزنت بالموازين. فوجدت ناقصًا" (دانيال٥: ٢٢-٢٨). يقول الحكيم "لأن الله يحضر كل عمل على الدينونة على كل خفي. إن كل فعل خيرًا أم شرًا" (جامعة١٢: ١٤).

يطلب المرنّم من الله، أن يختبره ويمتحن قلبه ويفحص أفكاره، لأنه الوحيد القادر أن يزن قلبه وفكره بميزان الحق الإلهي. يقول "إختبرني يا الله، واعرف قلبي. امتحني واعرف أفكاري، وانظر إن كان فيّ طريق باطل. واهدني طريقًا أبديًا كاملاً" (مزمور١٣٩: ٢٣-٢٤). ويخبرنا كاتب الرسالة الى العبرانيين، أن كلمة الله الموحى بها من الروح القدس، لها القدرة على امتحاننا وتمييز قلوبنا أفكارنا ونوايانا. قال، "لأن كلمة الله حيّة وفعالة، وأمضى من كل سيف ذي حدّين، وخارقة الى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ، ومميّزة أفكار القلب ونيّاته" (عبرانيين٤: ١٢). وليس خليقة غير ظاهرة قدامه، بل كل شيء عريان ومكشوف لعيني ذلك الذي معه أمرنا" (عبرانيين٤: ١٢-١٣). نحن مدعوون أن نقيّم أنفسنا على ضوء كلمة الله، الاّ أنه فقط نعمة الله يمكن أن تساعدنا على تقييم أنفسنا على حقيقتها.

١٥-"جمع الكنوز بلسان كاذب، هو بخار مطرود لطالبي الموت"

(أمثال٢١: ٦)

من الأمور التي تحدث عنها الملك سليمان في أمثاله، آداب العمل. في موضوع جمع المال ليعيش الانسان عيشة كريمة. دعا الحكيم كل انسان للحصول على المال النزيه بعرق جبينه، وليس بالكذب والغش والفساد. قال ،"جمع الكنوز بلسان كاذب، هو بخار مطرود لطالبي الموت" (أمثال٢١: ٦). قصد بذلك، أن الذي يكنز لنفسه كنوزا من المال ، وبالادلاء بشهادات زور عن أبرياء. أو بطرق غير أخلاقية في التجارة، باستخدام الغش والخداع، وغيرها من الطرق المدانة. فان تلك الكنوز المجموعة لن تدوم طويلا. شبّه عدم ديمومتها، بالدخان أو البخار الذي يظهر قليلا، ثم يموت ويختفي. وفي مثل آخر حول نفس الموضوع. تحدث الملك سليمان، عن طريقتين لجمع المال: الأولى، بالبطل. والثانية، بالعمل المجتهد. يقول، "غنى البطل يقلّ، والجامع بيده يزداد" (أمثال١٣: ١١). البطل أي الفساد اوالطرق غير الشرعية. مال البطل، هو مال: السرقة، والظلم، والخداع، والشر. انه المال الذي يخدم فقط فساد وكبرياء الانسان. يقول الحكيم، الذي يجمع ماله ببطل دون أن يتعب في جمعه، فإنه ينفقه بتهوّر لأهداف غير صالحة. إن طبيعتنا البشرية الخاطئة وجشعنا للاغتناء السريع، يجعلنا نستخدم أساليب بطل فاسدة، لنجمع الكنوز. لكن يقول لنا الحكيم، هذا المال، لن يدوم طويلا، بل سيقلّ بسرعة. هناك مثل يقال باللغة الانكليزية، تفسيره "الذي يأتي بسهولة، يذهب بسهولة". يتساءل النبي

ميخا، "أفي بيت الشرير بعد كنوز الشر، وإيفة ناقصة ملعونة"؟ (ميخا٦: ١٠). أما النبي إرميا فقد استخدم مثلا جميلا من حياة طير الحجل. قال،"حجلة تحضن ما لم تبض، محصِّلُ الغنى بغير حق. في نصف أيامه يتركه، وفي آخرته يكون أحمق" (إرميا١٧: ١١). شبّه الذين يجمعون مالهم بالفساد والظلم، بسرقة طيور الحجل، بيوض غيرها من الطيور. من عادة طيرالحجل، أنه يسرق البيض من أعشاش طيور من أصناف أخرى، ويحضنها. وعندما يفقّص البيض، وتكبر فراخ الحجل قليلاً لتصبح قادرة على الطيران، فإنها تطير، لتعود تنضّم الى نفس نوع الطيور الذي من جنسها. هكذا أيضًا يحصل للمال، الذي يُجمع ببطل بغير حق. فإن جامعيه لن يتمتعوا به، حتى وإن أورثوه لأولادهم. فانه لن يدوم. فالمال الذي يجمع بالبطل لا يستأذن صاحبه عندما يتركه، لأنه لم يكن في الأصل ماله. لهذا، يقول الحكيم، فان هذا المال، يصنع لنفسه أجنحة كالنسر يطير نحو السماء. قال الحكيم "لا تتعب لكي تصير غنيًا. كفّ عن فطنتك. هل تطير عينيك نحوه وليس هو. إنما يصنع لنفسه أجنحة، كالنسر يطير نحو السماء" (أمثال٢٣: ٤-٥). وأما الذي يجمع ماله بتقوى الله وبعرق جبينه. فبالرغم من أنه سيستغرق جمعه طويلا، الاّ أن هذا الأمر لا يهم. فالله يبارك الذي يعمل بإخلاص وأمانة، وماله سيزداد تدريجيًا بثبات.

السؤال الأساسي، الذي يطرح على جامعي الكنوز والأموال الكثيرة، بالرغم من محدودية راتبهم، وضيق مصادر دخلهم، هو: "من أين لك هذا؟ تعجبني كثيرا، السياسة التي وضعتها الكنيسة الانجيلية المشيخية البرازيلية، لقبولها الهبات والتبرعات. فانها لا تقبل أي مال، ان لم تتأكد أنه مالا نزيها، وراءه أناسا نزيهي الكفّ والسمعة.

يطلب الرسول بولس من تلميذه تيموثاوس، ان يحذّر أعضاء الكنيسة التي يرعاها، من مخاطر الاغتناء السريع، بأية وسيلة ممكنة، فيقول له : "وأما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء، فيسقطون في تجربة وفخ وشهوات كثيرة وغبية ومضرة، تغرق الناس في العطب والهلاك، لأن محبة المال أصل لكل الشرور، الذي إذا ابتغاه قوم، ضلّوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة" (١ تيموثاوس ٦ : ٩-١٠). نعم هذا ما يسبّب لنا محبة المال، واللهث وراء الاغتناء السريع، بأية وسيلة ممكنة. هذه الطريقة غير المسيحية وغير الأخلاقية، توقعنا في: تجارب وأفخاخ، وشهوات مضرة، وتغرقنا في العطب والهلاك، وتسبب لنا أوجاعا وشرورا كثيرة. قال الحكيم "يوجد شر خبيث رأيته تحت الشمس. ثروة مصونة لصاحبها لضرره. فهلكت تلك الثروة بأمر سيء" (جامعة٥: ١٣-١٤).

١٦-"إذا جلست تأكل مع متسلّط، فتأمّل ما هو أمامك تأملاً...لا تشته أطاييه لأنها خبز أكاذيب"

(أمثال٢٣: ١و٣)

في كثير من الأوقات، نفكّر في نتائج الامور على المدى القصير، ونتجاهل العواقب. يخبرنا سليمان الحكيم كيف أن الكذب الذي يبدو للبعض في أول الطريق لذيذ، إلاّ أن عاقبته وخيمة في النهاية. يقول "خبز الكذب لذيذ للإنسان. ومن بعد يمتلىء فمه بالحصى"(أمثال٢٠: ١٧). شبّه الحكيم الكذب بالخبز اللذيذ، لأن الحاصل عليه لا يجهد ولا يتعب لكي يناله. في مثل آخر، حذّر الحكيم خائفي الله، من الحصول على خبز الأكاذيب، فقال "إذا جلست تأكل مع متسلّط، فتأمّل ما هو أمامك تأملاً. وضع سكينًا لحنجرتك إن كنت شرهًا، لا تشته أطاييه لأنها خبز أكاذيب" (أمثال٢٣: ١-٣). خبز الكذب هو الخبز الذي يحصل عليه الانسان بشكل غير شريف. ليس لدى خبز الكذب، مواصفات الخبز الذي يسدّ جوع الجائع ويؤمّن له طاقة للاستمرار على قيد الحياة، لأنه ليس خبزا للأكل. انه خبز الشر كما قال الحكيم، "لأنهم يطعمون خبز الشرّ" (أمثال٤: ١٧). هذا الخبز يتضمّن لعنة ونتائجه سيئة، اذ يتحوّل في فم الآكل الى حصى، والحصى مزعج ومؤلم جدا في الفم. فهو يكسّر الأسنان ويجرح اللسان. تحدّث النبي أيوب عن خبز الشرّ الذي يبدو للبعض حلو في البداية، الاّ أنه سرعان ما يتحوّل الى مرارة سمّ الأفعى في أمعاء مرتكبه. قال "من حلا في فمه الشر وأخفاه تحت لسانه أشفق عليه ولم يتركه بل حبسه وسط حنكه، فخبزه في أمعائه يتحوّل مرارة أصلال في بطنه" (ايوب٢٠: ١٢-١٤). في القديم، عاقبت بعض الدول صانعي الشر، بوضع حص صغير في خبزهم، وأجبرتهم على أكلها. شبّه الفيلسوف سينيكا، عذاب الضمير بجرش الحصى في الفم. إنه خبز الندم.

الكذب يعد بوعود ذهبية، لكن نتائجه الحقيقية هي عكس ذلك. الكذب يظهر حلاوة مؤقته، لكنه يخفي مرارة عواقبه. قال الحكيم، "المياه المسروقة حلوة. وخبز الخفية لذيذ. ولا يعلم أن الأخيلة (جمع خيال) هناك، وأن في أعماق الهاوية ضيوفها" (أمثال٩: ١٧). قصد أن يقول أن الخبز والمياه المسروقة في الخفاء، قد تبدو لذيذة وحلوة، في البداية، الاّ أن السارق لا يدرك أن الهاوية تستضيفه في النهاية لتحاسبه على ما فعل.

شبّه أحد القدّيسين الخطية بالمرأة الجميلة، التي لديها شعرًا ذهبيًا حلوا وجذّابا. فإنه عند النظر اليها، نسحر بجمالها فتغوينا ونسرع إليها. الاّ أنها سرعان ما تخدعنا وتحوّلنا الى حيوانات دون كرامة. تعطي الخطية تمتّعا أو متعة، الاّ أنها ليست الاّ وقتية. يخبرنا كاتب الرسالة الى العبرانيين أن النبي موسى رفض التمتّع الوقتي بالخطية، لأنه كان ينظر أبعد مما هو وقتي،كان ينظر الى ما هو أبدي، الى المكافأة التي يقدّمها الله. قال "مفضلاً (موسى) بالأحرى أن يذلّ مع شعب الله، على أن يكون له تمتّع وقتي بالخطية. حاسبًا عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر. لأنه كان ينظر الى المجازاة" (عبرانيين١١: ٢٥-٢٦). تحدّث الرسول بولس عن نتائج ما يزرعه الانسان في حياته، فقال: "لا تضلّوا. الله لا يشمخ عليه. فإن الذي يزرعه الانسان إيّاه يحصد. لأن من يزرع لجسده فمن الجسد يحصد فسادًا. ومن يزرع للروح، فمن الروح يحصد حياة أبدية" (غلاطية٦: ٧-٨).

الكذب كاذب، لأنه يخفي عنك الحقيقة الأكيدة. فإذا ما سعفك في مرّة، وأشعرك بحلاوة وقتية، فإنك ستندم ألف مرّة. فكل أمر نقوم به يميل الى تشكيل شخصياتنا وعاداتنا. فانك لا تستطيع أن توقف نتائج الكذب على حياتك، لأنه سيكون قد فات الأوان على ذلك. فإذا ما أعطى الانسان المؤمن فرصة ليتسلّل الكذب الى حياته، فانه سيوصله في النهاية الى الكذب على الله وتدمير علاقته الروحية معه. انه خبز الهلاك. تحدّث الرسول بطرس، عن الأنبياء الكذبة والتعليم الكاذب الذي يقود الانسان الى الهلاك. قال "ولكن، كان أيضًا في الشعب أنبياء كذبة، كما سيكون فيكم معلّمون كذبة، الذين يدسّون بدع هلاك. وإذ هم ينكرون الرب الذي اشتراهم يجلبون على أنفسهم هلاكًا سريعًا" (٢بطرس٢: ١).

"إن ارتخيت في يوم الضيق، ضاقت قوتك"١٧-

(أمثال٢٤: ١٠)

تمرّ علينا في لبنان في هذه الأيام، ضيقات كثيرة وأزمات كبيرة خانقة: فانه بعد جائحة كورونا، وانهيار الأوضاع الاقتصادية والمالية والاجتماعية. حدث الانفجار الهيروشيمي الكبير في بيروت الذي أدى الى جرح وقتل أكثر من خمسة آلاف شخص، وتدمير جزء كبيرا من المدينة وخسارة الناس لممتلكاتهم. إنها حقًا من أكثر الأيام ضيقًا في حياة اللبنانيين. بالرغم من كل هذه الضيقات المتراكمة، يحذرنا سليمان الحكيم، يحذّرنا من التراخي والاستسلام أمام هذه الضيقات، ويدعونا الى الصمود بالاتكال، ليس على قوتنا، وإنما على قوة الله التي تعمل فينا بالايمان بالمسيح يسوع. يقول سليمان الحكيم: "إن ارتخيت في يوم الضيق، ضاقت قوتك " (أمثال٢٤: ١٠-١١(

هناك عدد من المعاني لكلمة "ارتخيت" باللغة العبرية الأصلية. من هذه المعاني: أغميت، أعييت، فقدت ثقتك، شعرت على وشك الاستسلام. وبالتالي، اذا ما انتابتك تلك المشاعر في يوم الضيق، ستخور قوتك، وتصبح ضعيفة، وتصير عاجزا عن القيام بشيء

ليست الحياة المسيحية نزهة، ونعمة رخيصة، بل حياة ايمان تتضمن التحدّي والمثابرة بأماة حتى الموت. لا أحد منا يحب أن يمر في مثل هذه الاوقات الصعبة، نحاول دائما أن نتجنبها قدر الامكان. عندما تفرض تلك الضيقات نفسها، علينا أن نعرف كيف نتعامل معها. فكيف تظهر حقيقة إيماننا إن لم يكن في وقت الضيق؟ فقط الضيقات والأزمات تكشف نوعية ايماننا، لأنه إذا ما ارتخينا، وأعيينا وخارت وضعفت قوانا،سيكون مصيرنا الانهيار. ربما نسقط، بسبب ضعفنا البشري والضغوطات الهائلة التي تسبّبها لنا. يقول سليمان الحكيم

"لأن الصدّيق يسقط سبع مرات ويقوم" (أمثال٢٤: ١٦)، لكن ان سقطنا لا نستسلم، بل علينا أن نقوم معتمدين على قوة الله ونعمته

إن المقياس لتقييم صلابة ايمان الانسان، هو قدرته على الثبات والاستمرار في أوقات الضيق. فاستسلامه بسهولة وانهياره في وجه الصعوبات، يطرح تساؤلات جوهرية حول نوعية ايمانه. يخبرنا سفر صموئيل الاول، أنه عندما سبى العمالقة الشعب العبري في "صقلع"، فانهم نقلوا عائلات وأولاد العبرانيين. يخبرنا االكاتب، عن ردة فعل الشعب على هذه المصيبة الكبرى ،فيقول: "رفع داود والشعب الذي معه، أصواتهم وبكوا حتى لم يبق لهم قوة للبكاء. لكن النبي داود لم ينهر، لكنه استطاع أن يتماسك معتمدا على قوة الرب. يسجّل الكاتب موقفه فيقول: "لأن أنفس جميع الشعب كانت مرّة، كل واحد على بيته وبناته. وأما داود فتشدّد بالرب إلهه" (صموئيل الاول٣٠: ١-٦). فالذي شدّد داود وساعده على عدم الانهيار أمام تلك المصيبة الكبيرة، هو ايمانه بالرب الهه. يصف سليمان الحكيم الضيقات والمخاوف الكثيرة، بالشرك أو الفخ، التي توقع الانسان فيه، وتسلبه من قوته، الاّ أنه يقول أيضا، أن المتكل على الرب، يرفعه منها. يقول: "خشية الانسان تضع شركًا، والمتكل على الرب يرفع" (أمثال٢٩: ٢٥). يقول النبي إشعياء، أن الله، "يعطي المعيي قدرة، ولعديم القوة يكثر شدة" (إشعياء٤٠: ١٩(

يدرك المؤمنون الحكماء، أن الحياة تتضمن أيام ضيق، فيعدّون أنفسهم لمواجهتها. إذا ما نظرنا الى هذه الضيقات فقط من عدساتنا ومن عيوننا، فإننا حتما سنستسلم وتخور قوتنا وننهار. لهذا يجب ان ننظر اليها، من عيون الله الذي نسلّمه أيامنا وحياتنا ومستقبلنا مهما كان. فلا مستقبل لنا إلاّ مع الله، ولا قوة لنا إلاّ بقوة الله

يقدم لنا كاتب سفر العبرانيين، من مثال موت المسيح على الصليب، نصيحة لنتبعها في أوقات الضيق. فهو يدعونا الى الصبر في أوقات الضيق، معتمدين على المسيح، مهما كانت نتيجة الضيق علينا. يقول: " لنطرح كل ثقل والخطية المحيطة بنا بسهولة. ولنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا، ناظرين الى رئيس الايمان ومكمله يسوع، الذي من أجل السرور الموضوع أمامه، احتمل الصليب مستهينًا بالخزي، فجلس في يمين عرش الله. فتفكّروا في الذي احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه، لئلا تكلّوا وتخوروا في نفوسكم" (عبرانيين١٢: ١-٣ (

فاذا ما أحسسنا بالكلل من شدة الضيق، لننظر الى الرب يسوع المسيح رئيس ايماننا ومكمله، الذي يقدّم لنا مثالاً للثبات في أوقات الضيق التي تعرّض لها واختبرها واحتملها من الخطاة الذين ضايقوه ولاحقوه والقوا القبض عليه وصلبوه. لم تخر قوى المسيح في تلك الضيقات ولم ينهر، وذلك لأن سروره كان في تقديم حياته على الصليب من أجل خلاصنا. لهذا، عندما نشعر بأننا نكلّ ونتعب وتخور قوانا في فترات الضيق، لنفتكر في المسيح، ونتّخذ من مثاله نموذجا لحياتنا.

١٨-"كثيرون يطلبون وجه المتسلّط، وأما حق الإنسان فهو من الرب"

(أمثال٢٦: ٢٦)

من الحقائق التي يذكرها سليمان الحكيم، عن المتسلّطين أن لهم شعبية كبيرة. يقول: "كثيرون يطلبون وجه المتسلّط، وأما حق الإنسان فهو من الرب"

(أمثال٢٦: ٢٦). كثيرون يطلبون وجههم ويقصدونهم ويترجّونهم، ليس لأنهم أناسًا صالحين، وإنما لأنه لديهم السلطة التي تفيدهم للوصول الى وظيفة ما أو مركز ما أو الحصول على حظية ما. يطلبون وجه المتسلّط، ليس للصواب والحقيقة التي يعيش المتسلّط بموجبها، وانما للسلطة التي يملكها، وبحسب التعابير اللبنانية "إيدو طايلة، بيطلع بإيدو"، فيذهب الكثيرون ويخضعون لسلطانه ويذلّون كيما يؤمنّوا لقمة عيشهم. راقبوا كيف يتمّ التوظيف في لبنان، في أيام الخير التي كان فيها توظيف. من يستطيع أن يحصل على وظيفة ما، إن لم يكن وراءه متسلّط؟. فلا مؤهلاتك ولا شهاداتك، ولا مهاراتك، ولا خبراتك تنفعك، وإنما الذي ينفعك هو مَنْ المتسلّط الذي اوصى بك وأرسلَك؟. يسألون هذا السؤال للمتقدّم لوظيفة ما، دون وجل ولا خجل. وهكذا يُصدم الأكفاء، عندما يعرفون انه تمّ توظيف الأقل كفاءة منهم، لأنه محسوب على أحد المتسلّطين.

يشير سليمان الحكيم الى هذه الحقيقة المخزية عن المتسلّطين، في قوله آخر "كثيرون يطلبون وجه الشريف (المسؤول)، وكلّ صاحب لذي العطايا" (أمثال١٩: ٦). للأسف هذا هو الفساد المعشّش في ذهنيات المتسلّطين، الذين يعتقدون أنهم يمتلكون الناس والدولة ، فيشترون الناس مما لا حقّ لهم فيه، ويأخذون الهدايا مما لا يملكونه، وتقمع حريّة التعبير والاحتجاج، وتكمّ الأفواه ويضطرّ المستفيدون من المتسلّطين، للصمت والعيش بالذلّ، كيما يحافظوا على لقمة عيشهم. وهكذا يكون المتسلّطون مسؤولين عن تجذّر الفساد في أذهان ونفوس الشعب وأروقة مؤسسات الدولة، فيؤمّنون بقائهم عشرات السنين على كراسيهم. قال لورد أكتون " السلطة تُفسد، والسلطة المطلقة تُفسد بشكل مطلق". قصد لورد أكتون أن يقول، عندما تزيد سلطة الانسان

كثيرا، فإنها تفسده كثيرا. يضعف حسّه الأخلاقي، ويقلّ تمييزه بين الخطأ والصواب، لأن السلطة أعمت عينيه. لا يمكن للمتسلّط أن يحكم بالحق، لأنه يظن ان سلطته أهم من الحق. لا يمكنه أن يحكم بالعدل، لأنه يخيّل له أن سلطته أهم من العدل. لا يمكنه أن يحكم بالرحمة، لأنه يعتقد ان سلطته أهم من الرحمة. نجد أمثلة في التاريخ عمّا فعلت السلطة المطلقة في الأباطرة الرومان، الذين عندما عظمت سلطتهم، أعلنوا أنفسهم آلهة للناس، وطلبوا منهم عبادتهم.

يذكر سليمان الحكيم، في الجزء الثاني من الآية، "كثيرون يطلبون وجه المتسلّط، وأما حق الإنسان فهو من الرب"(أمثال٢٦: ٢٦)، لن يستطيع الانسان ايجاد الحق في المتسلّط، لأنه يقيس كل الأمور، بمقاييس مصلحته وسلطته وفساده، لهذا يقول الحكيم، "وأما حق الإنسان فهو من الرب". فالرب يقيس الأمور بناء لمقاييسه الالهية، التي هي: العدل والحق والرحمة. يقول المرنم: "العدل والحق قاعدة كرسيه... السموات تخبر بعدل الله " (مزمور ٩٧: ٢و٦). تأملوا بقوة هذه الصورة حول أهمية العدل في نظر الله. فالقاعدة هي المكان حيث يضع الله كرسيه عليه، ليملك على العالم. ليست العدالة مطلبا اجتماعيًا بالدرجة الأولى، ولكنها قبل كل شيء من صفات الله ومطلب الله من كل أولاده. عندما تنبأ النبي أشعياء عن مجيء المسيح ذكر قائلا: "ويخرج قضيب من جذع يسّى وينبت غصن من أصوله. ويحل عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب. ولذته تكون في مخافة الرب، فلا يقضي بحسب نظر عينيه ولا يحكم بحسب سمع أذنيه، بل يحكم بالعدل للمساكين ويحكم بالانصاف لبائسي الأرض" (أشعياء ١١: ١-٣). إن الأمر الملاحظ حول طريقة حكم المسيح في هذه النبوة، هو أنه "لا يقضي بحسب نظر عينيه، ولا يحكم بحسب سمع إذنيه". اي لا يقبل، بكل التركيبات، وتحضير الملفات ضد الناس، كما يفعل معظم سياسونا الفاسدين، بل يقضي بالانصاف والعدالة للناس المساكين. يذكر النبي اشعياء صفتين أساسيتين عن المسيح، هما: البر والأمانة. البر، يعني الحفاظ على النزاهة والاستقامة والقيام بما هو صحيح بثبات وبشكل دائم في كل الأحوال، ومهما تبدلت الظروف. أما الأمانة فتعني الاخلاص والصدق في كل ما نؤتمن عليه.

فكم نحن بحاجة ماسة، في وطننا الحبيب لبنان، الى الحكّام والسياسيين، الذين يمتلكون البرّ والنزاهة والاستقامة، والأمانة والاخلاص والصدق، لأنه كما يقول سليمان الحكيم، "إذا ساد الصدّيقون فرح الشعب، وإذا تسلّط الأشرار يئن الشعب" (أمثال٢٩: ١). يا رب ارحم شعبنا المجروح، ووطننا الجريح لبنان.

١٩-"النفس الشبعانة تدوس العسل، وللنفس الجائعة كلّ مرّة حلو"

(أمثال٢٧: ٧).

من أقوال سفر الأمثال، التي غالبًا ما تُستخدم في سياق خاطىء، وتفسّر بشكل خاطىء، قول سليمان الحكيم: "النفس الشبعانة تدوس العسل، وللنفس الجائعة كلّ مرّ حلو" (أمثال٢٧: ٧). فالتفسير الشائع، هو أن الإنسان الشبعان والمشبع من نعمة المسيح، فإنه يفرح ويكتفي فيه، فلا يعد يرى في العسل الطيب أي قيمة وأهمية. فمع أن هذا القول هو لاهوتيا صحيح، لكن الأمانة العلمية والتفسيري الكتابي، يقتضي منا معرفة حقيقة معنى المثل، الذي يحمل أيضا حقائق روحية هامة، في نظرتنا الى الحياة، ونظرتنا الى كلمة الله التي تمنح الحياة.

هناك مستويان إثنين، يجب ان نأخذهما بعين الاعتبار، عندما نفسر هذا القول: الأول حرفي، والثاني مجازي.

على المستوى الحرفي، يتحدث الكاتب عن العسل كان ولا يزال، من الأطعمة الحلوة والشهيّة والصحية. كان يعتبر إيجاد شهد من العسل، له قيمة. كان يوجد العسل، في عدة أماكن: في الصخور، وعلى الأشجار، وفي أمكنة أخرى. عندما كان يسير بعض الناس تحت الأشجار. فانه عندما كان يمتلىء الشهد بالعسل، ويفيض من شهده، كان يسقط على الأرض. فالمارة، الذي يجدون العسل، كانوا يعتبروا أنه وجدوا وجبة طعام شهي فياكلون منه. يخبرنا سفر صموئيل الأول، أن يوناثان، ابن الملك شاول، أكل عسلاً، فجعله يشعر بصحة جيدة. قال لمن رافقه: "أنظروا كيف إستنارت عيناي، لأني ذقت قليلاً من هذا العسل" (١صموئيل١٤: ٢٩). كاتب سفر الأمثال، نصح بأكل العسل، فقال: "يا ابني كلّ عسلاً، لأنه طيّب. وقطر العسل حلو في حنكك". اما كاتب سفر الخروج، فقد اطلق على "أرص الموعد" ، تسمية الأرض الجيدة التي تفيض، " لبنًا وعسلاً" (خروج٣: ٨). لكن هذا القول، يتحدّث عن الإنسان، الذي بدلاً من أن يأكل العسل الطيّب، بأنه يدوسه تحت قدميه والدوس تحت الأقدام هو أسوأ أنواع الاحتقار. لكن السؤال هو: لماذا يدوسه؟ الجواب، هو لأنه قد أكل كثيرًا من طعام آخر فشبع، فصارت نفسه شبعانة، ولكثرة ما أكل، أصيب بالتخمة. ولم يعد يرى في العسل أيّ قيمة وأيّة حلاوة، لأنه لم يعد لديه في معدته مساحة فارغة كيما يأكل. فلم يعد ينظر إليه كوجبة حلوة ولكن كوجبة مزعجة ومرّة. لكن العكس هو الصحيح، بالنسبة للانسان الجائع، أو النفس الجائعة. فالجائع، الذي لم يتناول شيئا منذ الصباح. وبقدوم المساء، صارت تخور قواه ، فإنه عندما يجد أي شيء، وان بدى مرّا في عيون

الآخرين، فإنه سيجده حلوٌ المذاق في فمه. قال الفيلسوف اليوناني سينيكا: "الجوع يجعل من الخبز، طعام جيّد".

اما على صعيد التفسير المجازي الروحي للمثل، فان هذا القول، يتحدث عن نظرتين مختلفتين الى الحياة، والى كلمة الله. فالإنسان الذي ينظر الى العالم كفرصة للتمتع بملذاته ومشتهياته، كما يقول الرسول يوحنا: "لأن كل ما في العالم، شهوة الجسد، وشهوة العيون، وتعظّم المعيشة، ليس من الآب بل من العالم" (١يوحنا٢: ١٦). فانه يشبع ويتخم منها، ولا يعد لديه في معدته مساحة لأكل المزيد، وهكذا يفقد شهيته لتناول العسل الطيب. فيصير طعام العسل الحلو، الذي هو بنظر الآخرين طعاما حلوا وقيّما، يصير في نظر النفس الشبعانة، طعاما مرا. وهنا بيت القصيد، العسل يشير مجازيا الى كلمة الله، التي طعمها أحلى من العسل، ومذاقها أطيب من شهد العسل. وصف المرنّم في سفر المزامير، كلمة الله قائلا : "ما أحلى قولك لحنكي، أحلى من العسل لفمي" (مزمور ١١٩: ١٠٣). أيضًا وصف، الكلام الحسن، بالعسل، فقال: "الكلام الحسن شهد عسل. حلو للنفس وشفاء للعظام" (أمثال ١٦: ٢٤). أما النبي إرميا ، فوصف إنكبابه على قراءة كلمة الله، كانكبابه على وجبة طعام شهيّ يأكلها، قال: "وجد كلامك فأكلته، فكان كلامك لي للفرح ولبهجة قلبي" (إرميا١٥: ١٦). وهنا المأساة الروحية للانسان الذي شبع وللنفس الشبعانة من ملذات الحياة وشهوات العيون والجسد، فانه يفقد شهيته لتناول كلمة الله، وللأسف يدوس على العسل. فمن ينظر الى الحياة كفرصة للشبع من مباهجها، لن تعود تروق له كلمة الله الحلوة التي هي أحلى من العسل. لأنه فقد شهيته. قال الواعظ الإنجيلي المشهور، تشارلز سبيرجون: "صلّي من أجل أن يعطيك الله شهيّة جيّدة للمسيح. وعندما يعطيك إيّاها، حافظ عليها ولا تضيّعها، على أشياء أقلّ حلاوة من شهد العسل". اما النفس الجائعة الى كلمة الله، والى بر الله، فانهم يكتفون بالشبع الروحي، الذي تقدمه كلمة الله. قال الرب يسوع المسيح، في عظته على الجبل، "طوبى للجياع والعطاش الى البر ، فانهم يشبعون" (متى ٥: ٦٩).

٢٠-"ذو العين الشريرة بعجلٍ الى الغنى، ولا يعلم أن الفقر يأتيه"

(أمثال٢٨: ٢٢)

أحد أقدم المعتقدات الشعبية في العالم الإعتقاد بما يُسمّى باللغة الدارجة "صيبة العين"، وباللغة الفصحى "العين الشرّيرة". يرجع هذا المعتقد إلى أكثر من ثلاثة آلاف سنة الى الوراء. رصد وجوده على زمن الإمبراطورية اليونانية القديمة التي برزت حوالي ١٣٠٠ سنة قبل المسيح. ساد بشكل خاص، لدى شعوب حوض البحر المتوسط، لا سيّما الشعوب الشرق أوسطية. ولا يزال سائدا لدى الكثير من الناس في هذه البلدان. الا أنه كلما ابتعدنا عن هذه المناطق الجغرافية، كلما قلّ، بل ندر من يؤمن بصيبة العين.

ما هي صيبة العين، أو العين الشريرة؟ انه الاعتقاد، أن بعض الناس أو حتى الحيوانات، لديهم القدرة على التسبّب بالضرر للناس أو الأشياء، بمجرّد التحديق إليها بعيونهم، دون أن يدركوا انهم المسببون لهذا الضرر. هذا الاعتقاد، غير مبنيّ على منطق علمي ومعرفي، بل هو مجرد معتقدات شعبية قديمة، ليست روحية وإنما أرواحية، تم تناقلها من جيل الى جيل .برز هذا المعتقد لدى الشعوب التي تؤمن بما يُسمّى باللغة العربية: "نظرية الإنبعاث" أو "نظرية الإطلاقات" التي تفيد، بأن للعين، قدرة على إطلاق إشعاعات منها، تسبّب الأذيّة للمنظور اليه، من البسيطة منها، وقد تصل الى حدّ الموت. خلال التاريخ إنتشر هذا المعتقد بشكل واسع، وأصبح الإجابة على كل مآسي الحياة المفاجئة وغير المتوقعة، التي لم يجد بعص الناس تفسيرًا لها، مثل: موت مفاجيء لطفل دون معرفة السبب، أو مرض أحد بشكل فجائي. ظن المعتقدون بالعين الشريرة، او صيبة العين، أنهم يستطيعون حماية أنفسهم من أخطارها، وأضرارها، باستخدام ما يُسمّى تعويذات، لا سيما، خرزات زرقاء دائرية، تحوي في وسطها عين. ولا يزال يؤمن البعض حتى اليوم، انه اذا ما أصيب احدهم بالعين، يجب عليه ان يقصد أحد العارفين بالموضوع، فيتلو أمامه عبارات أو صلوات، حتى تفك العين عنه .

عندما تكوّن الشعب العبري في العهد القديم، وأقام الله معه عهدا. فقد حذّر النبي موسى الشعب من التأثّر: بمعتقدات، وممارسات الشعوب الوثنية، التي عاشوا في وسطها وبجوارها، لأنه وجدها غريبة عن فكر الله. كانت احدى تلك المعتقدات، "صيبة العين، أو العين الشريرة". وقد تضمّنت شريعة التثنية، تحذيرات للشعب العبري، من تلك المعتقدات، إذ مما جاء في نص الشريعة: "لا يوجد فيك من يجيز ابنه أو إبنته في النار. ولا من يعرف عرّافة. ولا عائف. ولا متفاءل. ولا ساحر. ولا من يرقي رقيّة. ولا من يسأل جانًا، أو تابعة، أو من يستشير الموتى. لأن كل من يفعل ذلك، مكروه عند الرب" (تثنية١٨: ١٠-١٢). تستخدم ترجمة البستاني-

فانديك، العربية، كلمة، "الرقية"، والتي تعني باللغة العبرية الأصلية، "إلقاء عين شريرة على أحد". وبالتالي، صنّفت شريعة التثنية الرقيّة أو العين الشريرة، بنفس مصاف: السحر، والعرافة، وغيرها .

يعتقد الدارسون، أن الاعتقاد بالعين الشريرة، لم يؤثر فقط على حياة الناس، بل أيضا كان له تأثيرا كبيرا على اللغة، فاستخدم فيها نفس المصطلح أي "العين الشريرة". فقد نشأت الكنيسة المسيحية، وسط حضارتين أساسيتين، هما: اليونانية والرومانية، التي كانت تؤمن شعوبها، بالعين الشريرة. لهذا، نرى تأثير هذا المصطلح، على اللغة المستخدمة في الكتاب المقدس. طبعا لم يؤمن المسيح، بالعين الشريرة، لكنه استخدم، مصطلح "العين الشريرة"، في ثلاثة مقاطع في الأناجيل :

الأول، متى ٦: ٢٢-٢٣ "سراج الجسد هو العين. فان كانت عينك بسيطة، فجسدك كله يكون نيرا. وان كانت عينك شريرة، فجسدك كله يكون مظلما". اعتقد مفسرون، أن الإنسان ذو العين البسيطة هو الإنسان الكريم المعطاء المتحرّر من الحسد ومحبّة المال. أما الإنسان ذو العين الشريرة، فهو الإنسان البخيل الذي الطمّاع والحاسد الذي يسعى وراء ما يملكه الآخرون، ويكون جلّ تفكيره ربحه الشخصي، وليس حاجات الاخرين. الثاني، متى٢٠: ١-١٦. في تشبيه المسيح لملكوت السموات بربّ بيت، خرج من الصبح ليستأجر فعلة لكرمه. فاستأجر أناس في أوقات مختلفة من النهار. وأعطى الجميع نفس الأجر. وعندما احتجّ من استأجره باكرًا، قال له رب البيت: "أما إتفقت معي على دينار؟ أو ما يحلّ لي أن أفعل ما أريد مما لي؟ أم عينك شريرة لأني صالح" (متى٢٠ .(15-13 :وبالتالي، فالسياق الذي جاءت به هذه العبارة هو أيضًا سياق الحسد والطمع والرغبة بالحصول على مال أكثر من الآخرين، وليس في سياق إلقاء عين شريرة على أحد.

الثالث، مرقس٧: ٢١-٢٣ . يذكر المسيح لائحة من الخطايا، التي تبدأ قلب الانسان، والتي من ضمنها، "العين الشريرة"، فيقول" لأنه من الداخل من قلوب الناس، تخرج الأفكار الشريرة: زنى، فسق، قتل، سرقة، طمع، خبث، مكر، عهارة، عين شريرة، تجديف، كبرياء، جهل. جميع هذه الشرور تخرج من الداخل، وتنجس الانسان."

من أكثر ما يعبّر عن قصد المسيح من تعبير العين الشريرة، قول كاتب سفر الأمثال: "ذو العين الشريرة بعجلٍ الى الغنى، ولا يعلم أن الفقر يأتيه" (أمثال٢٨: ٢٢). وبالتالي، فالعين الشريرة هي التي تسرع الى الغنى وجمع الكنوز الأرضية ولا تبالي بجمع كنوزها في السماء. يعتقد مفسّرو الكتاب المقدس، أن العين الشريرة، تمثّل الانسان الشرير الذي يسعى لإفتعال الشر والاضطرابات، بدافع الحسد. وتعني كلمة "الحسد"، شعور الانسان بالمرارة والانزعاج حيال ما يملكه الاخر، من مال، أو مركز، أو ثقة الناس، أو سمعة جيدة، أو جمال، أو غيرها من الأمور، الذي يعتبرها جيدة. ويرافق شعور الانزعاج هذا، اما رغبة شديدة بالامتلاك الشخصي لما يملكه ذاك الاخر، أو برغبة شديدة بفقدان أو حرمان ذاك الاخر مما يملكه. ان الكلمة اليونانية، "أوفتالموس بونروس"، أي "العين الشريرة"، لم تعد تستخدم في الكثير من ترجمات الكتاب المقدّس الجديدة، بل استبدلت، بكلمة "حسد". أيضا، أُطلق على تعبير "العين الشريرة" في القديم، تعبيرا آخر، هو "العين الضيقة"، ولا يزال البعض يستخدم هذا التعبير.

القرّاء الأعزاء، يجب ان نتيقّن، ان الإيمان المسيحي الحقيقي، لا يمتّ لا من قريب ولا من بعيد، بصلة الى معتقد: صيبة العين او العين الشريرة، غير المسيحي. ولا يحتاج المؤمنون والمؤمنات، الى وضع تعويذة الخرزة الزرقاء، كيما تحميه. فحمايتهم تأتي من الله، الذي يسود على كل تفاصيل الحياة، مهما سهلت أو صعبت تلك الحياة . لا يؤمن المسيحي، أن الأشياء التي يصنّعها البشر والمخلوقة من قبلهم، تؤمّن الحماية

لأحد، فالله وحده، هو حامينا وولي أمرنا .يقول الرسول يوحنا: "أنتم من الله أيّها الأولاد. وقد غلبتموهم، لأن الذي فيكم، أعظم من الذي في العالم" (١يوحنا٤: ٤ .(

٢١- "الملك بالعدل يثبّت الأرض، وقابل الهدايا يدمّرها" (أمثال ٢٩: ٤)

تقديم العطايا أو الهدايا لا سيما في الأعياد والمناسبات، هي من العادات المتّبعة منذ القديم. الهدف منها، إظهار التقدير والمحبة للشخص الذي تقدَّم إليه، والتعبير له عن الدور الايجابي الذي يلعبه في حياته. إكتشفت الهدية في الشرق الأدنى القديم. ودخلت في الحياة الدينية والسياسية في الامبراطورية الرومانية. تحدّث عنها وليم شكسبير في مسرحياته، ودانتيه في الكوميديا الالهية. يخبرنا سفر الملوك الأول، عن تقديم ملكة سبا، هدايا ثمينة جدًا للملك سليمان بعد تقديرها الكبير للحكم العظيمة التي سمعتها من فمه. يذكر النص "وسمعت ملكة سبا بخبر سليمان لمجد الرب، فأتت لتمتحنه بمسائل...بجمال حاملة أطيابًا وذهبًا كثيرًا جدًا وحجارة كريمة. وأتت الى سليمان وكلّمته بكل ما كان بقلبها. فأخبرها سليمان بكل كلامها. لم يكن أمرٌ مخفيًا عن الملك لم يخبرها به. فلما رأت ملكة سبا كل حكمة سليمان، والبيت الذي بناه، لم يبق فيها روح بعد..... فقالت للملك: صحيحًا كان الخبر الذي سمعته في أرضي عن أمورك وعن حكمتك. ولم أصدّق الأخبار حتى جئت وأبصرت عيناي..... وأعطت الملك مئة وعشرين وزنة ذهب، وأطيابًا كثيرة جدًا، وحجارة كريمة". (ملوك الأول١٠: ١-١٠). وفي سياق الاعجاب بولادة الطفل الملك يسوع المسيح، قدّم مجوس الشرق هداياهم للمولود الالهي، ذهبا ولبانا ومرّا، التي لها تعابير مجازية.

استغلت منذ القديم، العادة الشريفة بتقديم الهدايا، لتتحوّل الى ممارسة فساد وافساد من قبل الراشي والمرتشي. يخبرنا الحكيم، التي فرحت ملكة سبا بحكمته، عن قوة الهدايا في الافساد وفلاحها، حيث توجّهت وقدّمت. يقول "الهدية حجر كريم في عيني قابلها، حيثما تتوجّه تفلح" (أمثال١٧: ٨). الهدايا تفتح أبواب العظماء في المراكز والمناصب، أم المهدي. "هدية الانسان ترّحب له، وتهديه أمام العظماء" (أمثال١٨: ١٦). تحدث الحكيم، عن قوة تأثيرها النفسي على القادة المضطربين والغاضبين، لأنها تهدّىء من روعهم. "الهدية في الخفاء، تفثأ الغضب. والرشوة في الحضن، تفثأ السخط الشديد" (أمثال٢١: ١٤). وبالتالي، تتضمن الهدية اغراء قويا لا يقاومه ضعاف النفوس، تترافق مع امكانية كبيرة أن تتحوّل الهدية الى رشوة. يعتقد الأخصائيّون في علم الادارة، أن "الهدية الرشوة" هي السبب الأول للفساد. يقول سليمان الحكيم، "العطية تفسد القلب" (جامعة٧: ٧).

مع الإقرار بالتقدير الكبير الذي يواكب تقديم الهدايا لمتلقيّها، إلاّ أنه هناك خيطًا رفيعًا يفصل بين كون أن الهدية هي تعبير صادق عن التقدير، وبين الهدية الرشوة. الفرق بين الهادي والراشي، أن الراشي يقدم

هديته للمرتشى في الخفاء، وتبقى سرّا بين الراشي والمرتشي، بينما ليس أية ضرورة لأن يقدم الهادي هديته سرّا. لكن هذه السرية غير مطلوبة عندما تقدّم الهدية. يقدم الهادي هديته، تعبيرا عن اعجاب ومشاعر صادقة وعلاقة حميمة مع مستلمها. فاذا ما قدّمت بغياب هذا السياق، تكون الهدية في غير مكانها، اذ يتوقع الراشي خدمة زبائنية وراءها: اما منصب ما أو وظيفة أو غض نظر عن مخالفة، وغير ذلك. فالهدية الرشوة، تخلق التزاما لدى المرتشي لتلبية طلبه. الاّ أن الهادي بصدق لا يتوقّع أية خدمات مقابل هديته، لأنها تعبير خالص عن التقدير.تخلق الهدية، تحيّزًا للراشي وإن كان على خطأ، فلا يعد يرى المرتشي الحقيقة، لأن الرشوة تغلّف الحقيقة بغلاف بعيد عن الشفافية. الهادي يقدّم هدايا قيمتها معقولة، بينما الراشي يقدّم هدايا بمبالغ كبيرة.

ان الهدية الرشوة، هي مدانة في الكتاب المقدس، لأنها: تظلم الضعفاء، وتمنع حق اليتيم، وتعمي عيون القضاة، للنظر في دعوى الأرملة. هذا ما ممارسه: رؤساء وقادة وقضاة بلاد النبي إشعياء. وللأسف هذا ما مارسه ويمارسه العديد من قادة ومسؤولي وقضاة بلدنا الجريح لبنان. قال النبي اشعياء عن بلاده، "رؤساؤك متمردون ولغفاء اللصوص. كل واحدٍ منهم يحب الرشوة، ويتبع العطايا (الهدايا). لا يقضون لليتيم، ودعوى الأرملة لا تصل إليهم" (إشعياء١: ٢٣). اعتقد الملك سليمان أن الهدايا الرشاوي تدمّر البلاد. قال، "الملك بالعدل يثبّت الأرض، وقابل الهدايا يدمّرها" (أمثال ٢٩: ٤).لهذا أوصت شريعة التثنية، الانسان المتقي الله، بألاّ يأخذ رشوة. ذكرت، "لا تأخذ رشوة، لأن الرشوة تعمي أعين الحكماء وتعوّج كلام الصدّيقين" (تثنية١٦: ٩).

٢٢-"الرجل الذي يطري صاحبه، يبسط شبكة لرجليه"

(أمثال٢٩: ٥)

من الأمور التي نادرًا ما نتوقّف عندها، وندرك خطورتها، كلمات الإطراء، التي تقال فينا. يقول سليمان الحكيم، "الرجل الذي يطري صاحبه، يبسط شبكة رجليه"(أمثال٢٩: ٥). تستخدم ترجمة البستاني – فانديك عددًا من الكلمات لوصف كلمة "الإطراء" باللغة العبرية الأصلية. من هذه الكلمات: التملّق، الملس، الكلام المخادع. تعني كلمة "إطراء"، أن تسمع كلمات ناعمة عنك. كلمات تستمتّع بها وتطرب لها، فتجعلك تنزلق وتسقط. يشبّه سليمان الحكيم، كلمات الإطراء: بالفخّ، أو الشبكة التي توضع في الغابة لإصطياد الحيوانات. كانت تُغطّى تلك الشباك، أو الأفخاخ بأوراق الشجر والأعشاب، كي لا يُرى الفخّ. لهذا، فانه عندما يدركها حيوانا ما ويمشي عليها، يعلق بها ويقع في الفخّ. فكلمات الإطراء والتملّق والملس، هي مثل تلك الأوراق والأعشاب التي تغطّي الفخّ. ما أن تدوس عليها برجليك حتى تعلق في الشبكة، وتسقط في الفخّ الذي نصب لك.

يوجد فرق شاسع، بين: كلمات التقدير وكلمات الإطراء. فكلمات التقدير، تعبّر عن الإحترام والإعجاب بما قام أو يقوم به إنسان ما يستحق التقدير. تكون كلمات التقدير عادة صادقة معبّرة عن مشاعر حقيقية، تستخدم تلك الكلمات المحبّبة، للتشجيع والشكر على أمر يستحق الشكر. لكنها تختلف اختلافًا شاسعًا عن كلمات الإطراء. فالذي يطري لا يستخدم كلماته بصدق بل لغاية في نفس يعقوب. الذي يطري يحمل أجندة قد تخفّى عنك في تلك اللحظة، لكنها ستنكشف لك لاحقا في لحظات الحقيقة. المطري يدرك تمامًا، قوة كلمات الاطراء وتأثيرها القوي، لا سيّما على النفوس الضعيفة. المُطري يهدف الى الوصول اليك من خلال تملّقك. المُطري يدخل اليك بل يهاجمك في نقطة ضعفك، لأن من طبيعة الإنسان الخاطئة والفاسدة والساقطة، أنه يطرب ويتمتع بكلمات الإطراء والتملّق، لأنها تدغدغ كبريائه، تخاطب تمركزه حول ذاته. فالانسان المطري، يجعل الانسان المطرى له يشعر بأهميته وكبر شأنه. الاّ أن حقيقة الأمر، أنها تعطي الآخر شعورًا زائفًا بالأمان والبهجة. يقول إدموند بورك "الإطراء يفسد الاثنين، المُطْري والمُطْرَى له".

يحذّرنا سليمان الحكيم، ان الذي يطريك، يعدّ لك خرابا، وينصب شبكة لرجليك، لتعلق فيها. يصف الحكيم، خبث المُطري بكلامه، فيقول: "بشفتيه يتنكّر (يخدع) المُبْغِض، وفي جوفه يضع غشًا. إذا حسَّن صوته فلا تأتمنه، لأن في قلبه سبع رجاسات... اللسان الكاذب يبغض منسحقيه، والفمّ المَلِق يعدّ خرابًا" (أمثال٢٦: ٢٤-٢٥ و٢٨). هدف المطري استخدام الكلمات المنمّقة، والأوصاف الرنّانة، كيما يحثّك ويشجّعك للقيام بشيء ما لصالحه. فالمُطري لا يسعى بكلماته لإسعادك، وإنما لخداعك. لا يسعى لرفعك، وإنما لإسقاطك. لا يسعى لإفادتك، وإنما لإستغلالك. كلمات الإطراء هي الفخّ. وأنت الذي يستمتّع بها هو الضحيّة. كلمات الإطراء، ظاهرها جميل، وباطنها خبيث. فاحذر كلمات التملّق، لأن تلك الكلمات التي تقال فيك، هي ليست لصالحك ،

بل لصالح المُطْري. انها ليست لمدحك وإنما لإصطيادك. يقول سليمان الحكيم، إذا ما خيّرت بين أن يوبّخك أحد بصدق، وأن يتملّقك أحد بكلام مخادع، فاختر التوبيخ، لأن جروح المحبّ أمينة. قال "من يوبّخ إنسانًا يجد خيرًا ونعمة، أكثر من المُطري باللسان" (أمثال ٢٨: ٢٣).

من الأمور التي يذكرها النبي دانيال، في الاصحاح الحادي عشر من سفره، استخدام الحكّام وذوي المناصب سلاح التملّق، اما للوصول الى المناصب والمراكز، أو تملّقهم لأتباعهم، كيما يعملوا لابقائهم في مراكزهم. يتحدّث دانيال عن أناس يقيمون حكّامًا وقادة، غير مؤهّلين للحكم، فيكسبوا رضى الناس ويغووهم بتملّقهم. يقول: "فيقوم (ملك) مكانه محتقر، لم يجعلوا عليه فخر المملكة، ويأتي فجأة ويمسك المملكة بالتملّقات... والمتعدّون على العهد يغويهم بالتملقات... فإذا عثروا يعانون عونًا قليلاً، ويتّصل بهم كثيرون بالتملّقات" (دانيال١١: ٢١، ٣٢، ٣٤). يفتخر النبي أيوب، أنه لا يُحابي بالوجوه ولا يتملّق لإنسان، لأن عليه أن يبقى أمينا لايمانه وأمانته للرب. قال "لا أحابين وجه رجل، ولا أملث إنسانًا، لأني لا أعرف الملث. لأنه عن قليل يأخذني صانعي" (أيوب٣٢: ٢١-٢٢).

ناشد الرسول بولس تلميذه تيموثاوس، أن لا يفعل أي شيء بهدف المحاباة، لارضاء الناس بل أن يكون صادقا بكل ما يقوله ويفعله. قال له: "أناشدك أمام الله والرب يسوع المسيح والملائكة المختارون، أن تفعل هذا دون غرض، ولا تعمل شيئًا بمحاباة" (١تيموثاوس٥: ٢٦). وفي رسالته الى كنيسة تسالونيكي، يشهد الرسول بولس، أنه لم يستخدم خلال خدمته للكنيسة، كلمات الاطراء والتملّق الخادعة، ليرضي الناس، قال " بل كما استحسنا من الله أن نؤتمن على الانجيل، هكذا نتكلّم. لا كأننا نرضي الناس، بل الله الذي يختبر قلوبنا. فإننا لم نكن قط في كلام تملّق كما تعلمون، ولا في علة طمع، الله شاهد" (١ تسالونيكي ٢: ٥).

٢٣-"بلا رؤيا يجمح الشعب"

(أمثال٢٩: ١٨)

من الحِكَم الهامة جدًا التي نطق بها سليمان الحكيم، أهمية أن يكون للقادة، إن كان قادة البلاد أو قادة الكنائس أو المؤسسات أو الأفراد، رؤى واضحة تحدّد مسار الأمور وتستشرف المستقبل. قال الحكيم، "بلا رؤيا يجمح الشعب، أما حافظ الشريعة فطوباه" (أمثال٢٩: ١٨). تحمل كلمة "رؤيا" باللغة العبرية الأصلية معنى رؤية نبوية، والفعل من الاسم "رؤيا" هو أن "يرى للأمام"، وبالمعنى اللاهوتي، الرؤى هي اعلانات يوصلها الله الى الانبياء كيما هم بدورهم يوصلونها الى الناس. يقول النبي حزقيال: "وكان إلي كلام الرب قائلاً، يا ابن آدم هوذا بيت اسرائيل قائلون، الرؤيا التي هو رائيها هي الى أيام كثيرة وهو متنبىء الى أزمنة بعيدة" (حزقيال١٢: ٢٦-٢٧). في العدد الاول من الاصحاح الاول من سفر إشعياء، يخبرنا الكاتب، أن الله أراه رؤيا. يذكر النص، "رؤيا إشعياء بن أموص التي رآها على يهوذا وأروشليم" (إشعياء١: ١). والرسول بطرس في خطبته يوم الخمسين، قال لنا أنه من ضمن الأمور التي يمنحها الروح القدس، هو رؤى للشباب. يذكر النص، "يقول الله ويكون في الأيام الأخيرة أني أسكب من روحي على كل بشر، فيتنبأ بنوكم وبناتكم، ويرى شبابكم رؤى، ويحلم شيوخكم أحلاما" (أعمال الر سل ٢: ١٧). فالرؤية النبوية، ووضع الانسان خطة لحياته في الايمان، تستند الى التمسّك بشريعة الله وكلامه ووصاياه، لهذا، يطوّب سليمان الحكيم في الجزء الثاني من حكمته من يضع رؤيته استنادًا الى كلام الله ووصاياه، فيقول، "بلا رؤيا يجمح الشعب، أما حافظ الشريعة فطوباه" (أمثال٢٩: ١٨).

يعرّف جورج بيرنا، "الرؤيا"، على أنها استشراف للمستقبل، ورؤية ما هو غير مرئي، من خلال وضع خطة تكون جسرًا بين الحاضر والمستقبل، انطلاقا من ظروف الحاضر. في كل تخطيط استراتيجي، يضع المخطط رؤيا حول ماذا يريد أن يفعل، يحدّد فيها أين هو الآن، وأين يريد ان يصل في المستقبل. ثم يضع الرسالة أو الارسالية التي تخدم الرؤيا. بعدها يضع لائحة من الاهداف والقيم التي تخدم الرسالة، وبالنهاية، يضع البرامج التي عبرها تطبّق الأهداف لتحقيق الرؤيا. يخبرنا التاريخ أن كل الذين صنعوا فرقا في العالم، كانوا أصحاب رؤى جيدة.

فالرؤى الجيدة تدب الحماس في القادة والشعب للمشاركة في تحقيقها. الرؤيا تمنح القوة للناس وتهيّئهم لاحتضان المستقبل. يذكر بيل هاينس، ان غاية "الرؤيا" هي "أن تقدّم صورة عن المستقبل، وتثير الشغف لدى الناس لتحقيقها". وبدون رؤيا يخسر القادة والشعب اندفاعهم وحماسهم وحيويتهم للمشاركة في التغيير.

ان الحقيقة التي يوصلها سليمان الحكيم الى حكّامنا وقادة بلادنا، هي أنه "بدون رؤيا يجمح الشعب". وهذا يعني بدون رؤيا جيدة يضعها قادة وطننا، لاخراجنا من هذه الحالة البائسة المزرية التي وضعونا فيها، لن نستطيع أن نحلم بمستقبل أفضل. من دون رؤيا تستشرف مستقبلا أفضل، لا نعرف أين يذهب. ولا نعرف ماذا نتوقع، ولا نعرف ما ينتظرنا، من مآسي جديدة لا سمح الله.

قال أحد الخبراء وضع الرؤى، "الرؤيا بدون عمل هي حلم اليقظة. والعمل بدون رؤية هو كابوس". تعني كلمة "يجمح"، في قول سليمان الحكيم، "بدون رؤيا يجمح الشعب"، " الخروج عن الخط الصحيح الذي يقود الى الخلاص. وكلمة جمح تذكّرنا بجموح الحصان وسقوطه. للأسف، فان قادة هذا الوطن العظيم، الذي لا يستحقونه قيادته، الذين لا هم لهم سوى التنازع على السلطة والمناصب، لا يملكون أية رؤية واضحة وشافية، تدب القوة والحيوية في اللبنانيين للمشاركة في تنفيذها. فانه بغياب رؤيتهم الجيدة لوطن أفضل، انما يجعلون اللبنانيين يعيشون في كابوس معتم، وفي نفق لا نرى في نهايته ضوءا. ألا يكفي كل المآسي التي سبّبوها للبنانيين؟ أين الخطة الاصلاحية، لاصلاح حتى القليل من الكثير الذي هدّموه؟ فشعبنا يهلك وهم متمسّكون في مناصبهم. يا رب، إرحم وطننا الجريح لبنان وشعبنا المجروح وامنح قادة وطننا رؤية سماوية وحكمة الهية من لدنك. آمين.

٢٤-"لا تعطني فقرًا ولا غنى"

(أمثال:٣٠ ٨)

من الحكم الخالدة التي نطق بها سليان الحكيمم، قوله للرب: "لا تعطني فقرًا ولا غنى. أطعمني خبز فريضتي، لئلا أشبع، وأكفر، وأقول من هو الرب. أو لئلا أفتقر وأسرق، واتّخذ اسم إلهي باطلاً" (أمثال٣٠: ٨-٩). في هذا القول يتحدث الحكيم عن خطران كبيران يقودان الانسان الى الكفر: الأول، الغنى الفاحش، الذي يجعل الإنسان يعتقد أنه مكتفٍ بذاته ولا يحتاج لرعاية الله والايمان به، فينساه أو ربما ينكره. والثاني، خطر الفقر المدقع، الذي يصل الى حد الجوع، فيجعل الانسان عاجزا، عن تأمين لقمة عيشه ولقمة عيش أولاده، الأمر الذي يقوده الى الشك بوجود الله، والتذمّر عليه، واتّهامه بالظلم، وعدم العدالة. ويجبره على التفكير، بوسائل تخالف شريعة الله، مثل السرقة لسد جوعه، فيتخذ اسم الله باطلا. تعني كلمة "كفر" في الكتاب المقدس، عدم تقديم الإكرام الواجب الى الله، إنكار العناية الإلهية، الإساءة الى جلال الله، إحتقار الله والتكلّم بالسوء ضده، تعيير الله واتّهامه بالظلم. رأى الحكيم أن الوضع الأفضل للإنسان كيما يحافظ على علاقة جيدة مع الله ،هي ان يعيش حالة معتدلة من الاكتفاء: لا حالة الغنى الفاحش ولا الفقر المدقع.

يقول الكاتب أمبروس بيرس، نحن نظن بأن القرارات تتخذ، فقط بالوعي في الدماغ. الاّ أن هناك قرارات تتّخذ في اللاوعي، بناء لعوامل معينة، تكون لها انعكاسات مصيرية. من هذه العوامل، الجوع. ان نقص الطاقة المستمر في جسمنا بسبب الجوع، يجري تغييرات بيو-كيميائية، تؤثر على أحكامنا وصنع قراراتنا.

يتحدث الباحثون، عن هورمون "غيرلن" الذي يثير الجوع، وهورمون "ليبتن" الذي يرسل الاشارات الى منطقة في الدماغ، مسؤولة عن صنع القرارت، فتجعل الانسان مستعدًا للمجازفة واتخاذ المخاطر والقرارات غير المدروسة، التي تؤدي الى تصرفات متهورة. وهذا يحدث في اللاوعي. أضف الى ذلك، الوضع النفسي الذي يفرضه الجوع والفقر على الانسان، من عدائية، وقلق، وكآبة واحباط، وبؤس ويأس، قد تؤدي الى مجازفات وتصرفات جريئة.

يقارن كاتب سفر الأمثال، بين حالة الغني وحالة الفقير، فيقول: "ثروة الغني مدينته الحصينة، وهلاك المساكين فقرهم" (أمثال١٠: ١٥). يعني هذا القول، أن الإنسان الذي لديه مال او ثروة، فانه يشعر وكأنه محصّن، محمي، في مدينة حصينة. وفي قول آخر، يزيد كاتب سفر الأمثال من نسبة الأمان الذي يشعر فيه الغني، فيقول: "ثروة الغني مدينته الحصينة، ومثل سور عالٍ في تصوّره" (أمثال٨١: ١١). فثروة الغني تشعره، وكانه محمي، وراء سور يقيه من هجوم جيش الفقر عليه. الغني يشعر أنه لن يجوع، لن يحتاج لأحد. يشعر بالحرية والاستقلالية. أما الفقير فيشعر بالهلاك، "هلاك المساكين فقرهم". كلمة مسكين هي باللغة اليونانية الأصلية، ترجمة لكلمة "فقير". وبالتالي، فالفقر يهلك صاحبه، يفقده الشعور: بالأمان، والحماية. ويعرّضه لكل أنواع التجارب والشرور. هناك كلمتان، باللغة اليونانية الأصلية، تترجم باللغة العربية، بكلمة "فقير": الأولى "دال" والتي تعني: الضعف الشديد، وعدم قدرة الإنسان على مساعدة لفسه. والثانية "راش"، والتي

هي الكلمة المعاكسة لكلمة "غنيّ". وبالتالي، الفقر يجعل الانسان ضعيفا جدا، غير قادر على الخروج من ضعفه.

تخبرنا التجربة الانسانية، وكاتب سفر الأمثال، أن الفقر يضع الفقير، في حالة اجتماعية صعبة وحرجة جدا. للأسف، فان الأقرباء والأصدقاء، وحتى المجتمع، يرذلون الفقراء ويذلّونهم. يقول كاتب الأمثال: "كلّ إخوة الفقير يبغضونه. فكم بالحريّ أصدقاؤه يبتعدون عنه" (أمثال١٩: ٧). أيضًا يقول: "الفقير منفصل عن قريبه" (أمثال١٩: ٤).وبالتالي، حتى بعض اخوة الفقراء، يبغضونهم، وبعض أقرباءهم ينفصلون عنهم، ومعظم أصدقاؤهم يبتعدون عنهم، وهكذا يعيشون في عزلة اجتماعية. لشدّة صعوبة حالة الفقراء الاجتماعية، فان الكثير من الفقراء، لا يريدون أن يفكّروا في وضعهم، لهذا يضطرون للجوء إلى شرب الخمر لينسوا وضعهم. كما قال كاتب الأمثال: "أعطوا مسكرًا لهالك. وخمرة لِمرّ في النفس، يشرب وينسى فقره" (أمثال٣١: ٦-٧). وفي مقابل الوضع الإجتماعي المزري للفقير، نرى الوضع الإجتماعي الجيّد للغني. فيقول كاتب سفر الأمثال: "محبّو الغني كثيرون" (أمثال١٤: ٢٠)، "الغني يكثر الأصحاب" (أمثال١٩: ٤). وبالتالي، في الوقت الذي يكون فيه الفقير معزول اجتماعيا، فان الغني يكون محضون من قبل محبّيه وأصحابه.

من الكلمات المستخدمة في اللغة اليونانية التي تترجم "فقير"، كلمة ptochos، "بتوتشوس". لا تعبّر هذه الكلمة فقط عن الحالة الاجتماعية والجسدية للفقراء، وإنما أيضًا عن حالتهم النفسية المزرية. تشير الى فقرهم، كحالة فضائحية، كحالة القرب من الموت. يتحدث اللاهوتي الانجيلي، يورغان مولتمان، عن حالة احساس الفقير والجائع بفقدان انسانيته، وشعوره أنه مهجور من الجميع وحتى من الله. عندما قال المسيح: "طوباكم أيها الجياع، لأنكم تشبعون" (لوقا ٦: ٢١)، فانه لم يكن يطوّب الفقراء أو يهنّئهم لأنهم فقراء. فالخلاص أمام الله ليس بالفقر وإنما بعيش الايمان الحقيقي الذي يدعو الى الاهتمام بالفقراء. الله يهتم بالفقراء من خلالنا، وتتغير نظرة الفقراء الى الله، لتصبح نظرة ايجابية، عندما يختبروا رعاية الله لهم من خلال رعايتنا نحن.

لم تكن خطة الله للانسان عندما خلقه على صورته ومثاله أن يجوع، بل أن يكون مكتفٍ. خلق الله الاشجار والنبات والحيوانات وأعطاه سلطانًا عليها. لكي يأكل ويشبع منها ولا يجوع، لكن جشع الانسان وطمعه، جعله يستولي على الموارد الطبيعية، ويتحكم بها غير، آبه بالفقراء. وجشع الطبقة السياسية الفاسدة في وطننا الحبيب لبنان، جعلت فقرائنا فريسة الجوع. يا رب ارحم شعبنا المجروح، ووطننا الجريح لبنان.

٢٥-"تضحك على الزمن الآتي"

(أمثال٣١: ٢٥)

. من سمات المرأة الفاضلة التي يذكرها كاتب سفر الأمثال (٣١: ٣١-١) أنها، "تضحك على الزمن الآتي" (أمثال٣١: ٢٥). تعبير غريب لكن مميز، يصف كيفيّة نظرتها الى الزمن الآتي أو المستقبل. فبدلاً من أن تقابل الزمن الآتي، بالقلق والخوف من المجهول، فهي تريد أن تقابله بالضحك.

هناك نظرية عامّة تفسّر الضحك، تُسمّى "نظرية الإرتياح". يلخّص محلّل علم النفس الشهير، سيغموند فرويد ، هذه النظرية، بقوله "أن الضحك يحرّر الجسم والنفس، من الضغوطات المتراكمة". الضحك هو وسيلة استعداد، للتأقلم مع الظروف عندما يكون الإنسان حزينًا وغاضبًا ومُحبطًا. أما الفيلسوف جون موريال، فهو يرى" أن الضحك، هو نوع من البحث عن الشعور بالإرتياح، عند مرور الإنسان في فترات من الخطر". الباحث المتخصّص في حقل ضحك الإنسان، روبرت برونسن، يعرّف الضحك على أنه جزء من التعبير الإنساني العالمي. فمع أن هناك الآلاف من اللغات المختلفة في العالم، فالضحك هو اللغة التي يتكلّمها الجميع. حتى الأطفال حديثو الولادة، يستطيعون التواصل، مع أهلهم من خلال الضحك، قبل تعلمهم النطق. الضحك يوصل رسالة، أن الضاحك هو جزء من الجماعة، وهي وسيلة تجعله يشعر، بالقبول والتفاعل الإيجابي، وسط الجماعة.

يصنّف انواع الضحك المتعدد، الى صنفين رئيسيين: ضحك مشكّك، وضحك مصدّق.

النوع الأول، ضحك يعبّر عن سخرية وعدم تصديق، كضحك سارة زوجة إبراهيم، عندما أخبرها الملاك أنها ستحبل بولد. يذكر النص الكتابي، "فقال (الملاك لابراهيم). اني أرجع اليك نحو زمان الحياة. ويكون لسارة امرأتك ابن. وكانت سارة سامعة في باب الخيمة، وهو وراءه. وكان ابراهيم وسارة شيخيين متقدمين في الأيام. وقد انقطع أن يكون لسارة عادة كالنساء. فضحكت سارة في باطنها قائلة: أبعد فنائي يكون لي تنعم، وسيدي قد شاخ؟. فقال الرب لابراهيم لماذا ضحكت سارة، قائلة أفبالحقيقة ألد وأنا قد شخت؟ هل يستحيل على الرب شيء؟ في الميعاد أرجع اليك، نحو زمان الحياة ويكون لسارة ابن. فأنكرت سارة قائلة: لم أضحك، لأنها خافت. فقال لا بل ضحكت" (تكوين ١٨: ١٠-١٥).

النوع الثاني، ضحك مصدّق، الذي هو ضحك المرأة الفاضلة على الزمن الآتي المجهول، في ما يحمله من مفاجأت، لا يعرفها احد، الا من في يده المستقبل. إنه ضحك استعداد لمواجهة قاسية، مع أيام الزمن الاتي. ان ضحك المرأة الفاضلة، لم يصدر من قلب متكبّر يدعي معرفة المستقبل. ولا من برّ ذاتي، يعتقد أنه يستطيع معالجة ما يحمله المستقبل ، بل مصدر هذا الضحك هو تواضعها أمام الله، وايمانها الراسخ بسيادة الله على الزمن الاتي. لقد اتخذت قرارها بمعونة الله، أنها ستخضع بشكل كامل لمشيئته، مهما كانت تغيرات الزمن الآتي. ان سبب ضحكها هو، ايمانها الواثق، بأنها لن تواجه الزمن الآتي لوحدها، بل بصحبة الله، الذي وعدها في يسوع المسيح قائلا، "ها أنا معكم كل الأيام، الى انقضاء الدهر" (متى ٢٨: ٢٨). هذه القناعات الروحية، منحتها أمان وسلام داخلي مصدره الله. يصف بولس سلام الله، على أنه يفوق كل فكر وعقل. قال الرسول بولس لكنيسة فيلبي، "وسلام الله الذي يفوق كل عقل، يحفظ قلوبكم وأفكاركم في المسيح يسوع" (فيلبي ٤: ٧).

في بعض الأوقات يجب علينا أن نقول "لا" للأوقات والأمور الجميلة والممتعة، لنستطيع أن نقول "نعم" للأمور الصحيحة، وهذا أمر صعب جدًا. المرأة الفاضلة، إستطاعت أن تضحك على الزمن الآتي، لأنها استطاعت أن ترى من بعيد، كيف ستعيش بحريّة، ومتحرّرة من عقدة الشعور بالذنب. فمهما ستكن ظروفها، فهي لن تتأسّف على شيء. لن تنظر الى نفسها نظرة شفقة، ولن ترضَ أن ينظر إليها الناس نظرة شفقة. لن يتآكلها الشعور، بأنها غير مهمّة، ودون قيمة أمام الله. لم يعد يهمّها شيء، ولا يقلقها حتى الموت نفسه. استطاعت أن تضحك على الزمن الآتي، لأنها قررت بمعونة الله، أن تقبل نفسها وأحوالها، وتتقبّل ظروفها، مهما كانت وكيفما كانت.

مما لا شك فيه، ان هذه المرأة الحكيمة الفاضلة، اعتمدت فلسفة مسيحية صحيحة وعميقة للحياة. وبفلسفتها هذه تعلّمنا أهم دروس الحياة.